المغني في التَّفْسِير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورةُ المُمْتَحَنةِ، سُورةُ الصَّفِّ، سُورةُ الجُمُعةِ، سُورةُ المُنافِقون، سُورةُ التَّغابُنِ

(المجلَّدُ الثَّامِنُ والثَّلاثون)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُمْتَحَنَةِ

سُورةُ المُمْتَحَنةِ

سورةُ المُمْتَحَنةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المُمْتَحَنةِ).[1]

سورةُ المُمتَحَنةِ مَدَنيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[2]

---

(1) وجهُ التَّسْميةِ أنَّها جاءت فيها آيةُ امتحانِ إيمانِ النِّساءِ اللَّاتي يأتِينَ مِن مكَّةَ مُهاجِراتٍ إلى المدينةِ، وهي أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة: 10].

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (129/28).

وقد عُرِفَت هذه السُّورةُ في كتُبِ التفسيرِ وكُتُبِ السُّنَّةِ وفي المصاحِفِ بـ «سورة المُمتحَنةِ».

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (115/28).

قال ابنُ حَجَرٍ: (والمشهورُ في هذه التسميةِ فَتحُ الحاءِ، وقد تُكسَرُ، وبه جزَم السُّهَيليُّ؛ فعلى الأوَّلِ هي صِفةُ المرأةِ الَّتي نزلت السُّورةُ بسَبَبِها، والمشهورُ فيها أنَّها أمُّ كلثومٍ بنتُ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ.

وقيل: سَعيدةُ بنتُ الحارثِ.

وقيل: أُمَيمةُ بنتُ بِشرٍ.

والأوَّلُ هو المعتَمَدُ...

ومَن كَسَر جعَلَها صِفةً للسُّورةِ، كما قيل لـ بَرَاءَةُ الفاضِحةُ).

((فتح الباري)) (633/8).

ويُنظر: ((التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام)) للسهيلي (ص: 128).

(2) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والفيروزابادي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (516/5)، ((تفسير ابن عطية)) (267/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (266/4)، ((تفسير القرطبي)) (49/18)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (460/1)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (75/3).

مِن أَهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

تحذيرُ المؤمنينَ مِن اتِّخاذِ المُشرِكينَ أولياءَ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1– نَهْيُ المؤمنينَ عن اتِّخاذِ أعداءِ اللهِ وأعدائِهم أولياءَ، وبيانُ كراهيَةِ أعداءِ اللهِ للحَقِّ، وسوءِ عاقبةِ مَن يُوالِيهم.

2– دعوةُ المؤمنينَ إلى الاقتِداءِ بأبيهم إبراهيمَ –عليه السَّلامُ– الَّذي قَطَع صِلَتَه بأبيه وقَومِه؛ لإصرارِهم على الكُفرِ.

3– بِشارةُ اللهِ للمُؤمِنينَ بجَمْعِ شَمْلِهم بأقارِبِهم، وحُصولِ المَودَّةِ بيْنَهم، بِهدايةِ أقارِبِهم إلى الحَقِّ.

4– بَيانُ الرُّخصةِ في حُسنِ مُعامَلةِ الكَفَرةِ الَّذين لم يُقاتِلوا المسلِمينَ قِتالَ عَداوةٍ في دينٍ، ولا أخرَجوهم مِن ديارِهم.

5– تفصيلُ أحكامِ النِّساءِ اللَّائي أتَيْنَ مُؤمِناتٍ إليهم، بعد أن ترَكْنَ أزواجَهنَّ الكُفَّارَ.

نقل ابنُ عطية الإجماعَ على مَدَنِيّة سورة الممتحنة، فقال (٨/ ٢٧٦): «هي مدنية بإجماع من المفسرين».
وقد نُصَّ على مدنية السورة أيضًا في تفسير ابن كثير (١٣/ ٥٠٦).

6- أمْرُ اللهِ نبيَّه - ﷺ - بمُبايَعةِ النِّســـاءِ المؤمِناتِ، وأخْذِ العُهودِ عليهِنَّ بطاعةِ اللهِ، والبُعْدِ عن المحَرَّماتِ.

7- خُتِمَت السُّورةُ الكريمةُ بنَهْيِ المؤمنين عن موالاةِ أعداءِ اللهِ وأعدائِهم.

سورةُ المُمْتَحَنةِ

الآيات (1–3)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي
سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)

غريب الكلمات:

أَوْلِيَاءَ: أي: أنصارًا وأخِلَّاءَ، وأصلُ (ولي): يدُلُّ على القُرْبِ؛ سواءٌ مِن حيثُ المكانُ أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ أو الاعتِقادُ، وكلُّ مَن وَلِيَ أمْرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه.

بِالْمَوَدَّةِ: المودَّةُ: المَحَبَّةُ، والوُدُّ: محبَّةُ الشَّيءِ، أو هو خالصُ الحُبِّ وألطفُه وأرَقُّه، يُقالُ: وَدِدْتُ الرَّجُلَ وُدًّا: أحبَبْتُه، وأصلُ (ودد): يدُلُّ على محبَّةٍ.

سَوَاءَ السَّبِيلِ: أي: قَصْدَ الطَّريقِ ووسَطَه، وأصلُ السَّواءِ: الوَسَطُ، وأصلُ (سبل): يدُلُّ على إرسالِ شَيءٍ وامتِدادِه، وسُمِّيَ الطَّريقُ بذلك لامْتِدادِه.

يَثْقَفُوكُمْ: أي: يَجِدُوكم ويَظفَروا بكم، وأصلُ (ثقف): يدُلُّ على الحِذْقِ في إدراكِ الشَّيءِ، ثمَّ يُتجَوَّزُ به فيُستعمَلُ في الظَّفَرِ والإدراكِ مطلقًا.

وَيَبْسُطُوا...: أي: يُؤذوكُم بالمقالِ والفِعالِ، وبَسطُ اليدِ: مدُّها، ويُستعمَلُ تارةً للطَّلبِ، وتارةً للأخذِ، وتارةً للضَّربِ، وتارةً للبذلِ، وأصلُ (بسط): امْتِدادُ الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عَليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بَعَثني رَسولُ اللهِ - ﷺ -أنا والزُّبَيرُ والمِقدادُ، فقال: انطَلِقوا حتَّى تأتوا رَوضةَ خاخٍ؛[3] فإنَّ بها ظَعينةً[4] معها كتابٌ، فخُذوا منها، فانطلَقْنا تعادَى[5] بنا خَيلُنا حتَّى أتَيْنا الرَّوضةَ، فإذا نحن بالظَّعينةِ، قُلْنا لها: أخرِجي الكِتابَ، قالت: ما معي كِتابٌ، فقُلْنا:

---

(3) مَوضِعٌ بيْن مكَّةَ والمدينةِ بقُربِ المدينة.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (4012/9).
(4) الظَّعينةُ: المرأةُ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (1/ 151).
(5) تَعادَى: أي: تَتَعادى، والمعنى: تَجْري وتتسابقُ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (141/5).

لَتُخرِجِنَّ الكتابَ، أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ. فأخرَجَتْه مِن عِقاصِها،[6] فأتَيْنا به رَسولَ اللهِ - ﷺ -، فإذا فيه: مِن حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ إلى ناسٍ بمكَّةَ مِن المشركِينَ، يُخبِرُهم ببعضِ أمرِ رَسولِ الله - ﷺ -! فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: يا حاطِبُ، ما هذا؟! قال: يا رَسولَ اللهِ، لا تَعْجَلْ علَيَّ، إنِّي كُنتُ امرَأً مُلصَقًا في قُرَيشٍ -يقولُ: كنتُ حَليفًا، ولم أكُنْ مِن أنفُسِها-، وكان مَن معَك مِن المهاجِرينَ مَنْ لهم قَراباتٌ يَحْمُونَ أهلِيهم وأموالَهم، فأحببتُ إذ فاتَني ذلك مِنَ النَّسَبِ فيهم أن أتَّخِذَ عِندَهم يدًا يَحْمُونَ قَرابتي، ولم أفعَلْه ارتِدادًا عن ديني، ولا رِضًا بالكُفرِ بعدَ الإسلامِ. فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: أمَا إنَّه قد صَدَقَكم! فقال عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، دَعْني أضرِبْ عُنُقَ هذا المنافِقِ! فقال: إنَّه قد شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدريك لعَلَّ اللهَ اطَّلَع على مَن شَهِدَ بَدرًا، فقال: اعمَلوا ما شِئتُم؛ فقد غفرْتُ لكم. فأنزل اللهُ السُّورةَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [المُمتحنة: 1])).[7]

---

(6) عِقاصِها: أي: الخَيطِ الَّذي يُعتقَصُ به أطرافُ الذَّوائبِ، أو الشَّعرِ المضفور.

يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (6/387).

(7) رواه البخاريُّ (4274) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2494).

قال الواحدي: (قال المفسِّرونَ: إنَّ الآيةَ نزلت في حاطِبٍ، حينَ كتَبَ إلى مُشركي قُرَيشٍ يُخبِرُهم بمَسيرِ النَّبيِّ - ﷺ - إليهم لَمَّا قصَدَ فتحَ مكَّةَ، يَنهاه اللهُ عن موالاةِ الكفَّارِ).

((الوسيط)) (4/282).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا، اعمَلوا بمُقتَضى إيمانِكم، فلا تتَّخِذوا أعدائي وأعداءَكم مِن المشرِكينَ والكُفَّارِ أنصارًا وأخِلَّاءَ.

وقال ابنُ عاشور: (اتَّفَقوا على أنَّ الآيةَ الأولى نزلت في شأنِ كتابِ حاطِبِ بنِ أبي بَلتَعةَ إلى المشركينَ مِن أهلِ مكَّةَ...

واختلَفوا في آنِ كتابِه إليهم: أكان عندَ تجهُّزِ رَسولِ الله - ﷺ - للحُدَيبيَةِ؟ وهو قولُ قَتادةَ، ودَرَج عليه ابنُ عطيَّةَ، وهو مقتضى روايةِ الحارثِ عن عليِّ ابنِ أبي طالبٍ عندَ الطَّبَريِّ...

قال ابنُ عطيَّةَ: نزَلَت هذه السُّورةُ سَنةَ سِتٍّ.

وقال جماعةٌ: كان كِتابُ حاطِبٍ إلى أهلِ مكَّةَ عند تجهُّزِ رَسولِ الله - ﷺ - لفَتحِ مكَّةَ.

وهو ظاهِرُ صَنيعِ جمهورِ أهلِ السِّيَرِ، وصَنيعِ البُخاريِّ في كتابِ المغازي مِن صَحيحِه في ترتيبِه للغَزَواتِ، ودرَج عليه مُعظَمُ المفسِّرينَ.

ومعظَمُ الرِّواياتِ ليس فيها تعيينُ ما قصَدَه رَسولُ الله - ﷺ - مِن تجَهُّزِه إلى مكَّةَ: أهو لأجْلِ العُمرةِ أمْ لأجلِ الفَتحِ؟ فإن كان الأصَحُّ الأوَّلَ -وهو الَّذي نختارُه- كانت السُّورةُ جميعُها نازلةً في مدَّةٍ مُتقارِبةٍ؛ فإنَّ امتحانَ أمِّ كُلثومٍ بنتِ عُقبةَ كان عَقِبَ صُلحِ الحُدَيبيَةِ، ويكونُ نزولُ السُّورةِ مُرَتَّبًا على ترتيبِ آياتِها، وهو الأصلُ في السُّوَرِ.

وعلى القَولِ الثَّاني يكونُ صُدورُ السُّورةِ نازِلًا بعدَ آياتِ الامتحانِ وما بَعْدَها).

((تفسير ابن عاشور)) (28/130، 131).

ويُنظر: ((صحيح البخاري)) (5/145)، ((تفسير ابن جرير)) (22/560)، ((تفسير ابن عطية)) (5/293).

ويُنظر أيضًا: ((سيرة ابن هشام)) (2/398)، ((دلائل النبوة)) للبيهقي (5/14)، ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (2/525)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (10/235)، ((تفسير ابن كثير)) (8/82-85).

ذكَرَ ابنُ جرير (٢٢/ ٥٥٩)، وابنُ عطية (٨/ ٢٧٦)، وابنُ تيمية (٦/ ٢٨٣)، وابنُ كثير (١٣/ ٥٠٦) أنّ سبب نزول هذه الآية: قصة حاطِب بن أبي بَلْتَعة.

وقال ابنُ تيمية (٦/ ٢٨٤): «هذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحّتها، وهي متواترة عندهم، معروفة عند علماء التفسير، وعلماء الحديث، وعلماء المغازي والسِّيَر والتواريخ، وعلماء الفقه، وغير هؤلاء، وكان علي - رضي الله عنهما - يحدّث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة، وروى ذلك عنه كاتبُه عبد الله بن أبي رافع ليُبيّن [لهم] أنّ السابقين مغفور لهم، ولو جرى منهم ما جرى».

كما قال تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران: 28].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51].

تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.

أي: تُبادِرونَ إلى موَدَّتِهم والتَّودُّدِ إليهم، ومِن ذلك إيصالُ أسرارِ المُسلِمينَ إليهم، والنُّصحُ لهم!

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ.

أي: والحالُ أنَّ أولئك المُشرِكينَ الَّذين نُهيتُم عن اتِّخاذِهم أولياءَ: قد كَفَروا بالحَقِّ الَّذي جاءَكم مِن عِندِ اللهِ.

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ.

أي: وهم يُخرِجونَ رَسولَ اللهِ ويُخرِجونَكم أيضًا -أيُّها المؤمِنونَ- مِن ديارِكم، ويَحمِلونَكم على فِراقِ أوطانِكم؛ بسَبَبِ إيمانِكم باللهِ وَحْدَه الَّذي أحسَنَ إليكم، وربَّاكم بنِعَمِه الظَّاهِرةِ والباطِنةِ!

كما قال تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [الحج: 40].

وقال سُبحانَه: وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [البروج: 8].

إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي.

أي: لا تتَّخِذوا الكُفَّارَ أولياءَ، ولا تُلْقُوا إليهم بالمَوَدَّةِ إن كُنتُم هاجَرْتُم وخرَجْتُم مِن أوطانِكم بقَصدِ الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ لإعلاءِ كَلِمته، وطَلَبًا لنَيلِ رِضوانِه.

تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ.

أي: تَتودَّدونَ إليهم -أيُّها المؤمِنونَ- بمناصَحتِهم في السِّرِّ، والحالُ أنِّي أعلَمُ مِن كُلِّ أحَدٍ بالَّذي أضمَرْتُموه والَّذي أظهَرْتُموه، فكيفَ تَفعَلونَ ذلك؟!

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

أي: ومَن يَفعَلْ ذلك منكم -أيُّها المؤمِنونَ- فقد حادَ عن طريقِ الحَقِّ، وأخطَأَ الصَّوابَ.

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2).

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً.

أي: إنْ يَظفَرْ بكم الكُفَّارُ الَّذين توادُّونَهم –أيُّها المؤمِنونَ– يُظهِروا لكم العَداوةَ؛ فلا تَظُنُّوا أنَّ في التَّوَدُّدِ إليهم مَنفعةً لكم.

كما قال: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة: 120].

وقال سُبحانَه: كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة: 8].

وقال عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [آل عمران: 118].

وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ.

أي: ولو ظَفِروا بكم لَبَسَطوا إليكم أيديَهم بفِعلٍ يُؤذِيكم، وألسِنَتَهم بكَلامٍ يَسوؤُكم.

وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ.

أي: وتمَنَّوا وأحَبُّوا لكم أن تَكفُروا برَبِّكم، فتَكونوا على مِثْلِ ما هم عليه مِنَ الكُفرِ!

كما قال تعالى: وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا [البقرة: 217].

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)﴾.

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ.

أي: لا تَحمِلَنَّكم قراباتُكم وأولادُكم على مَعصيةِ اللهِ مِن أجْلِهم؛ فإنَّكم إذا أرضَيْتُموهم بما يُسخِطُ اللهَ فلن يَنفَعوكم بأيِّ وَجهٍ مِن الوُجوهِ يومَ القيامةِ الَّذي يَفصِلُ اللهُ فيه بيْنَكم وبَيْنَهم، فيُدخِلُ المؤمنينَ الجنَّةَ، ويُدخِلُ الكافِرينَ والعُصاةَ النَّارَ.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

أي: واللهُ بصيرٌ بأعمالِكم، لا يَخفَى عليه شَيءٌ منها، وسيُجازيكم عليها.

سورةُ المُمْتَحَنةِ

الآيات (4–6)

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ
تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)

غريب الكلمات:

أُسْوَةٌ: أي: قُدوةٌ وائتِمامٌ واتِّباعٌ، وأصلُ (أسو): يدُلُّ على المُداواةِ والإصلاحِ.

بُرَآءُ: جَمعٌ على فُعلاءَ، مُفردُه بريءٌ، مِثلُ: شُركاءَ وشَريكٍ، مِن (برئ)، بمعنى التَّفصِّي والتَّنزُّهِ ونفيِ المُخالَطةِ، فالبريءُ: الخليُّ عن التَّلبُّسِ بشَيءٍ وعن مُخالَطتِه، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على التَّباعُدِ مِن الشَّيءِ ومُزايَلتِه.

الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ: العَداوةُ: اختِلافُ القُلوبِ والنِّيَّاتِ والتَّباعُدُ بها، مأخوذةٌ مِن عَدْوَتَيِ الجَبَلِ، وهما طَرَفاه؛ سُمِّيَا بذلك لبُعدِ ما بيْنَهما، وقيل: مِن عدا، أي: ظَلَم. والبُغضاءُ: البُغضُ، وهو نِفارُ النَّفْسِ عن الشَّيءِ الَّذي تَرغَبُ عنه، وأصلُ البُغضِ: خِلافُ الحبِّ. والعَداوةُ أخصُّ مِن البَغضاءِ؛ لأنَّ كلَّ عدُوٍّ مبغِضٌ، وقد يُبغَضُ مَن ليس بعَدُوٍّ.

أَنَبْنَا: أي: رجَعْنا، وأصلُ (نوب): يدُلُّ على الرُّجوعِ.

فِتْنَةً: الفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذةٌ مِن الفَتْنِ: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جَودتُه مِن رداءتِه، وتُطلَقُ الفِتنةُ على الضَّلالِ والشِّرْكِ والكُفرِ والشَّرِّ والعَذابِ.

يَتَوَلَّ: أي: يُعْرِضْ، وتولَّى إذا عُدِّيَ بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا -كما هنا- اقتضى معنى الإعراضِ، وإذا عُدِّيَ بنَفْسِه اقتَضَى مَعنى الوَلايةِ والقُرْبِ.

الحْمِيدُ: أي: المحمودُ على كلِّ حالٍ، وفي جميعِ أفعالِه وأقوالِه، وشَرْعِه وقَدَرِه، والمحمودُ على ما لَه مِن الكَمالِ، وعلى نِعَمِه الَّتي أنْعَمها على خلْقِه، المستحِقُّ لكلِّ حمْدٍ، والحمدُ إخبارٌ عن مَحاسنِ المحمودِ معَ حُبِّه وإجلالِه وتَعظيمِه، وقيل: هو أيضًا بمعنى حامِدٍ، يَحمَدُ كُلَّ مَن يَستحِقُّ الحَمدَ منه، وأصلُ (حمد): يدُلُّ على خِلافِ الذَّمِّ.

تفسير الآيات:

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4).

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ.

أي: قد كانت لكم –أيُّها المؤمنونَ– قُدوةٌ صالِحَةٌ في إبراهيمَ والَّذين معه مِن المُؤمِنينَ.

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: حينَ قال إبراهيمُ ومَن معه مِن المؤمِنينَ لِقَومِهم المُشركِينَ الكافِرينَ: إنَّا نتبرَّأُ منكم ومِمَّا تعبُدونَ مِن دونِ اللهِ مِن الأصنامِ تبرُّؤًا عظيمًا.

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ إبراهيمَ لأبيه وقَومِه: وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [مريم: 48].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الزخرف: 26 – 28].

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا.

أي: أنكَرْنا ما أنتم عليه مِن الكُفرِ، وجَحَدْنا أن تكونَ آلهتُكم حَقًّا، وظهَرَ بيْنَنا وبيْنَكم المُعاداةُ والكراهيةُ الدَّائِمةُ ما دُمتُم مُستَمِرِّينَ على كُفرِكم باللهِ تعالى.(8)

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.

أي: إلى أن تُؤمِنوا بتوحيدِ اللهِ، فتَعبُدوه وَحْدَه لا شَريكَ له، فحينَئذٍ تَزولُ البَغضاءُ والعَداوةُ، وتنقَلِبُ مَودَّةً ووَلايةً.

---

(8) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٠): «قوله: ﴿كفرنا بكم﴾ أي: كذبناكم في أقوالكم، ولم نؤمن بشيء منها. ونظير هذا قوله – عليه السلام – حكاية عن قول الله – عز وجل –: «فهو مُؤمِن بي، كافِرٌ بالكوكب»».

قال ابنُ عطية (٨/ ٢٧٩): «هذه الأسوة مقيّدة في التبرّي مِن الإشراك، وهو مُطَّرد في كلِّ ملَّة، وفي نبيِّنا – ﷺ – أُسوة حسنة على الإطلاق؛ لأنها في العقائد، وفي أحكام الشرع كلّها».

اختُلِف في المراد بقوله تعالى: ﴿والذين معه﴾ على قولين: الأول: أنهم أتباع الخليل إبراهيم الذين آمنوا معه.

وهذا قول مقاتل.

والثاني: أنهم الأنبياء الذين كانوا في عصره – عليه السلام – وقريبًا من عصره.

وهذا قول ابن زيد.

وذَهَبَ ابنُ كثير (١٣/ ٥١٣) إلى القول الأول.

ولم يذكر مستندًا.

وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٢/ ٥٦٦) إلى القول الثاني استنادًا إلى أثر ابن زيد.

وهو ما رجَّحَه ابنُ عطية أيضًا استنادًا إلى السّنّة، والتاريخ، فقال (٨/ ٢٧٩): «وهذا القول أرجح؛ لأنه لم يُروَ أنّ إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحته نمروذ، وفي البخاري أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجرًا من بلد النمروذ: ما على الأرض مَن يعبد الله غيري وغيرك».

إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ.

أي: لا تتأسَّوا -أيُّها المؤمنونَ- بقولِ إبراهيمَ لأبيه المُشرِكِ: لَأستغفِرَنَّ لك اللهَ؛ إذ لا ينبغي لأحَدٍ أن يَستغفِرَ للمُشرِكينَ ولو كانوا ذَوِي قُرْبَى.

كما قال تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة: 113، 114].

وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ.

أي: قال إبراهيمُ لأبيه: والحالُ أنِّي لا أدفعُ عنك عُقوبةَ اللهِ إنْ عاقبَك على كُفرِك به، ولا أقدِرُ أن أنفعَك عندَ اللهِ بشَيءٍ.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا.

أي: قال إبراهيمُ والَّذين معه مِن المؤمِنينَ: رَبَّنا عليك وَحْدَك توَكَّلْنا، ففَوَّضْنا جميعَ أُمورِنا إليك، واعتَمَدْنا عليك في إصلاحِ أُمورِنا، ودَفعِ ما يَضُرُّنا.

وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا.

أي: وإليك وَحْدَك رجَعْنا بالتَّوبةِ ممَّا تَكرَهُ مِن مَعصيتِك إلى ما تُحِبُّ مِن طاعتِك.

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

أي: وإليك وَحْدَك -يا ربَّنا- مَرجِعُنا في الآخِرةِ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5).

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا.

أي: يا ربَّنا لا تُسلِّطْهم علينا، فيَفْتِنونا، ويَمْنَعونا ممَّا يَقْدِرون عليه مِن أمورِ الإيمانِ، ويُميلونا عمَّا نحن عليه مِن الحقِّ، ويُفتنون أيضًا بأنفُسِهم؛ فإنَّهم إذا رأوا لهم الغلَبَةَ، ظنُّوا أنَّهم على الحقِّ وأنَّا على الباطلِ، فازدادوا كفرًا وطُغيانًا.

كما قال اللهُ حاكيًا قولَ قومِ موسى: فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [يونس: 85].

وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا.

أي: وامْحُ عنَّا ذُنوبَنا؛ واستُرْها وأزِلْ آثارَها، وقِنَا واكْفِنا شَرَّها.

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: إنَّك أنت -يا ربَّنا- العزيزُ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، فلا يُضامُ مَن لاذ بجَنابِه، الحَكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ.

أي: لقد كان لكم -أيُّها المؤمِنونَ- قُدوةٌ صالِحةٌ في إبراهيمَ ومَن معه مِن المؤمِنينَ؛ لِمَن يَطمَعُ في رِضوانِ اللهِ وثَوابِه، ويَرجو النَّجاةَ مِن عَذابِه.

وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

أي: ومَن يُعرِضْ عن طاعةِ اللهِ والتَّأسِّي برُسُلِه، فيُوالِ أعداءَه؛ فإنَّ اللهَ ذو الغِنى التَّامِّ المُطلَقِ عن كُلِّ أحَدٍ؛ فليس به حاجةٌ إلى إيمانِه وطاعتِه، وهو المحمودُ في ذاتِه وأسمائِه وصِفاتِه، وأفعالِه وأقوالِه؛ فلا يَضُرُّه كُفرُ أحَدٍ وعِصيانُه.

كما قال تعالى: وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ [إبراهيم: 8].

سورةُ المُمْتَحَنةِ

الآيات (7–9)

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ
مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)

غريب الكلمات:

تَبَرُّوهُمْ: أي: تُحْسِنوا إليهم، والبرُّ: التوسُّعُ في فعلِ الخيرِ، والبَرُّ خلافُ البحرِ، وتُصوِّرَ منه التَّوسُّعُ فاشتُقَّ منه البِرُّ.

وَتُقْسِطُوا: أي: تَعْدِلوا، وأصلُ (قسط): يدُلُّ على العَدْلِ.

وَظَاهَرُوا: أي: عاوَنوا، والظَّهيرُ: العَونُ، وأصلُ التَّظاهُرِ مِنَ الظَّهرِ، فكأنَّ التَّظاهُرَ: أن يَجعَلَ كُلُّ واحدٍ مِن الرَّجُلَينِ أو مِن القَومِ الآخَرَ له ظَهرًا يتقوَّى به، ويَستَنِدُ إليه، وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على قُوَّةٍ وبُروزٍ.

تفسير الآيات:

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7).

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً.

أي: عسى اللهُ أن يجعَلَ بيْنَكم -أيُّها المؤمِنونَ- وبيْنَ الَّذين عاديتُم مِن المُشرِكِينَ مودَّةً بعدَ النفرةِ والعداوةِ والبَغضاءِ الَّتي انعقَدَت بيْنَكم، وذلك بأن يَنتَقِلوا للإيمانِ؛ فلا تيأسُوا مِن إيمانِهم.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((جاءت هندُ بنتُ عُتبةَ، قالت: يا رَسولَ اللهِ، ما كان على ظَهرِ الأرضِ مِن أهلِ خِباءٍ[9] أحَبَّ إليَّ أن يَذِلُّوا مِن أهلِ خِبائِك، ثمَّ ما أصبَحَ اليَومَ على ظَهرِ الأرضِ أهلُ خِباءٍ أحَبَّ إليَّ أن يَعِزُّوا مِن أهلِ خِبائِك، قال: وأيضًا والَّذي نَفْسي بيَدِه))[10].[11]

---

(9) الخِباءُ: خَيمةٌ مِن وَبَرٍ أو صُوفٍ، ثمَّ أُطلِقَت على البَيت كيف كان.

يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (6/171).

(10) أي: ستَزيدين مِن ذلك، ويتَمَكَّنُ الإيمانُ مِن قَلبِك، ويَزيدُ حُبُّكِ لله ولرسولِه - ﷺ -، ويَقوى رُجوعُك عن بُغضِه.

وأصلُ لفظةِ أيضًا: آضَ يَئِيضُ أيضًا، إذا رجَع.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (12/9).

(11) رواه البخاريُّ (3825) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1714).

وعن ابنِ شِهابٍ، قال: ((أعطى رَسولُ اللهِ – ﷺ – يومَ حُنَينٍ صَفوانَ ابنَ أُمَيَّةَ مِئةً مِنَ النَّعَمِ، ثمَّ مِئةً، ثمَّ مِئةً، قال ابنُ شِهابٍ: حَدَّثني سعيدُ بنُ المسَيِّبِ أنَّ صَفوانَ قال: واللهِ لقد أعطاني رَسولُ اللهِ – ﷺ – ما أعطاني، وإنَّه لَأبغَضُ النَّاسِ إليَّ، فما بَرِحَ يُعطيني حتَّى إنَّه لَأحَبُّ النَّاسِ إليَّ)).[12]

وَاللَّهُ قَدِيرٌ.

أي: واللهُ ذو قُدرةٍ تامَّةٍ بالغةٍ على كُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك قُدرتُه على جَعْلِ العَداوةِ الَّتي بَيْنَكم وبيْنَ المُشرِكينَ مَودَّةً، فيَهديهم للإيمانِ، ويُؤَلِّفُ بيْنَ قُلوبِكم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: واللهُ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه؛ فيَستُرُها ويَمحوها ويَقِي شَرَّها، رحيمٌ بهم؛ فيَغفِرُ للكافِرينَ كُفْرَهم إذا تابُوا، ويَرحَمُهم.

كما قال تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53].

(12) رواه مسلم (2313).

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8).

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ.

أي: لا يَنهاكم اللهُ –أيُّها المؤمِنونَ– عن الكافِرينَ الَّذين لم يُقاتِلوكم مِن أجْلِ دينِكم؛ مِن أقارِبِكم وغَيرِهم مِن الكُفَّارِ، ولم يُخرِجوكم مِن بلادِكم كما أخرَجَكم كُفَّارُ مَكَّةَ؛ أن تُحسِنوا إليهم وتُكرِموهم، وتَعدِلوا في تعامُلِكم معهم عدلًا تامًّا.[13]

---

(13) اختُلِف في الذين عُنُوا بهذه الآية، واختُلِف أيضًا في نسخها، على أقوال لخَّصَها ابنُ عطية (٨/ ٢٨٢ بتصرف)، فقال:

«اختلف الناس في هؤلاء الذين لم يُنْهَ عنهم أن يُبَرُّوا مَن هم؟ فقال مجاهد: هم المؤمنون من أهل مكة الذين آمنوا ولم يُهاجروا، وكانوا لذلك في رتبة سُوء لتركهم فرض الهجرة.

وقال آخرون: أراد المؤمنين التاركين للهجرة كانوا من أهل مكة ومن غيرها.

وقال الحسن، وأبو صالح: أراد خُزاعة، وبني الحارث بن كعب، وقبائل من العرب كفار، إلا أنهم كانوا مُظاهرين للنبي – ﷺ – مُحبّين فيه وفي ظهوره، ومنهم كنانة، وبنو الحارث بن عبد مناة، ومُزينة.

وقال قوم: أراد مِن كفار قريش مَن لم يُقاتل، ولا أخرج، ولا أظهر سوءًا.

وعلى هذين القولين فالآية منسوخة بالقتال.

وقال عبد الله بن الزبير: أراد النساء، والصبيان من الكفرة.

وقال: إن الآية نَزَلَتْ بسبب أُمّ أسماء حين استأذنت النبي – ﷺ – في برّها وصلتها فأذن لها.

وقال أبو جعفر بن النحاس، والثعلبي: أراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة.

وهذا قول ضعيف.

وقال مُرَّة الهمداني، وعطية العَوفيّ: نَزَلَتْ في قوم من بني هاشم، منهم العبّاس؟.

وقال قتادة: نسخَتْها: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥]».

كما قال تعالى في الوالِدَينِ الكافرَين: وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا [لقمان: 15].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عنه، قال: ((كان غُلامٌ يَهوديٌّ يَخدُمُ النَّبيَّ - ﷺ -، فمَرِضَ، فأتاه النَّبيُّ - ﷺ - يَعودُه، فقعَدَ عندَ رأسِه، فقال له: أسْلِمْ، فنظَرَ إلى أبيه وهو عندَه، فقال له: أطِعْ أبا القاسِمِ - ﷺ -، فأسْلَمَ، فخرجَ النَّبيُّ - ﷺ -وهو يقولُ: الحَمدُ للهِ الذي أنقَذَه مِنَ النَّارِ)).[14]

وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٢/ ٥٧٤) إلى العموم في الآية، وانتقد القول بالنسخ فيها -استنادًا إلى عموم لفظ الآية، وأقوال السلف-، فقال: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: عُني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين مِن جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتَصِلوهم، وتُقْسِطوا إليهم.

إنّ الله – عز وجل – عمَّ بقوله: ﴿الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ جميع مَن كان ذلك صفته، فلم يَخْصُص به بعضًا دون بعض».

ثم قال: «ولا معنى لقول مَن قال: ذلك منسوخ.

لأنّ برَّ المؤمنِ مِن أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غيرُ محرَّم، ولا مَنهي عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورةٍ لأهل الإسلام، أو تقويةٌ لهم بكُراعٍ أو سلاح.

وقد بيَّن صحةَ ما قلنا في ذلك الخبرُ الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأُمّها».

قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٣): «الذين قاتلوا في الدّين وأَخرَجوا: هم مَرَدة قريش».

وقال ابنُ القيم (٣/ ١٤٩): «الله سبحانه لمّا نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء، وقطع المودة بينهم وبينهم؛ توهَّم بعضُهم أنّ برَّهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودّة، فبيَّن الله سبحانه أنّ ذلك ليس مِن الموالاة المنهي عنها، وأنه لم يَنْهَ عن ذلك، بل هو من الإحسان الذي يحبّه ويرضاه، وكتبه على كلّ شيء، وإنما المنهيّ عنه تولّي الكفار، والإلقاء إليهم بالمودّة».

(14) رواه البخاري (1356).

وعن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قالت: ((قدِمَتْ علَيَّ أمِّي وهي مُشرِكةٌ، في عَهدِ رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فاستَفتيتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ -، قُلتُ: وهي راغِبةٌ،[15] أفأصِلُ أُمِّي؟ قال: نعمْ، صِلِي أُمَّكِ)).[16]

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((رأى عُمَرُ حُلَّةً[17] على رجُلٍ تُباعُ، فقال للنَّبِيِّ - ﷺ -: ابتَعْ هذه الحُلَّةَ تَلبَسْها يومَ الجُمُعةِ، وإذا جاءك الوَفدُ. فقال: إنَّما يَلبَسُ هذا مَن لا خَلاقَ[18] له في الآخِرةِ، فأُتِيَ رَسولُ اللهِ - ﷺ -منها بحُلَلٍ، فأرسَلَ إلى عُمَرَ منها بحُلَّةٍ، فقال عُمَرُ: كيف ألبَسُها وقد قُلتَ فيها ما قُلتَ؟! قال: إنِّي لم أَكْسُكَها لِتَلبَسَها، تبيعُها أو تَكسوها. فأرسَلَ بها عُمَرُ إلى أخٍ له مِن أهلِ مكَّةَ قبْلَ أن يُسْلِمَ)).[19]

وعن عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللهُ عنهما في قِصَّةِ المرأةِ المُشرِكةِ صاحِبةِ المَزادتَينِ[20] من الماءِ، الَّتي لَقُوها في سفَرٍ، وفي الحديثِ أنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قال: ((هاتُوا ما كان عِندَكم، قال عِمرانُ: فجمَعْنا لها

---

(15) أي: راغِبةٌ في شيءٍ تأخُذُه، أو عن ديني، أو في القُربِ منّي ومُجاوَرَتي والتَّودُّدِ إلَيَّ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (4/363).
(16) رواه البخاري (2620) واللفظُ له، ومسلم (1003).
(17) الحُلَّةُ: إزارٌ ورِداءٌ، ولا تُسَمَّى حُلَّةً حتَّى تكونَ ثَوبَين.
يُنظر: ((غريب الحديث)) لأبي عُبَيدٍ القاسم ابن سلَّام (1/285).
(18) لا خَلاقَ: أي: لا حَظَّ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (4/362).
(19) رواه البخاري (2619) واللفظُ له، ومسلم (2068).
(20) المزادةُ: وِعاءٌ يُحمَلُ فيه الماءُ، أكبَرُ مِن القِرْبةِ.

مِن كِسَرٍ وتَمرٍ، وصَرَّ لها صُرَّةً،[21] فقال لها: اذهَبِي فأطعِمي هذا عِيالَكِ، واعلَمِي أنَّا لم نرزَأْ[22] مِن مائِكِ)).[23]

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.

أي: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُنصِفينَ الَّذين يُنصِفونَ النَّاسَ، ويُعطونَهم الحقَّ، ويَحكُمونَ بَيْنَهم بالعَدلِ التَّامِّ.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ [النساء: 135].

وقال سُبحانَه: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [المائدة: 8].

وقال عزَّ وجلَّ: وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [المائدة: 42].

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (5/190).

(21) وصَرَّ لها صُرَّةً: أي: شدَّ وربَط، والصُّرَّةُ: الربطةُ.

يُنظر: ((شرح مسند الشافعي)) لأبي القاسم القزويني (3/197)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (1/293).

(22) نرزَأْ أي: نَنقُص.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (5/192).

(23) رواه البخاريُّ (344)، ومسلمٌ (682) واللَّفظُ له.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ الله – ﷺ – قال: ((إنَّ المُقْسِطينَ عندَ اللهِ على مَنابِرَ مِن نُورٍ عن يمينِ الرَّحمنِ عزَّ وجلَّ، وكِلْتا يَدَيه يَمينٌ؛ الَّذين يَعدِلونَ في حُكمِهم وأهلِيهم وما وَلُوا)).(24)

وعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((ما منَعَني أن أشهَدَ بدرًا إلَّا أنِّي خرَجْتُ أنا وأبي حُسَيلٌ، قال: فأخَذَنا كُفَّارُ قُرَيشٍ، قالوا: إنَّكم تُريدونَ مُحمَّدًا! فقُلْنا: ما نُريدُه، ما نُريدُ إلَّا المدينةَ، فأخَذوا مِنَّا عَهدَ اللهِ وميثاقَه لَنَنصَرِفَنَّ إلى المدينةِ، ولا نُقاتِلُ معه، فأتَيْنا رسولَ اللهِ – ﷺ –، فأخبَرْناه الخبَرَ، فقال: انصَرِفا، نَفِي لهم بعَهْدِهم، ونَستعينُ اللهَ عليهم!)).(25)

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9).

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ.

أي: إنَّما يَنهاكم اللهُ –أيُّها المؤمِنونَ– عن الكافِرينَ المحارِبينَ الَّذين ناصَبوكم العَداوةَ، فقاتَلوكم بسبَبِ إيمانِكم برَبِّكم.

وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ.

---

(24) رواه مسلم (1827).

(25) رواه مسلم (1787).

أي: وأخرَجوكم مِن بلادِكم، وعاوَنوا غَيرَهم على إخراجِكم.

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ.

أي: أن تتولَّوهم، فتَكونوا لهم مُحِبِّينَ مُناصِرينَ.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

أي: ومَن يتَّخِذِ الكافِرينَ أولياءَ يُحِبُّهم ويُناصِرُهم، فأولئك هم الظَّالِمونَ الَّذين وَضَعوا المُوالاةَ في غيرِ مَوضِعِها، وعرَّضوا أنفُسَهم لعذابِ اللهِ تعالى.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51].

سورةُ المُمْتَحَنةِ

الآيتان (10–11)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)

غريب الكلمات:

جُنَاحَ: أي: إثْمٌ وحَرَجٌ، وسُمِّيَ بذلك؛ لِمَيلِه عن طَرِيقِ الحَقِّ، وأصلُ (جنح): يدُلُّ على مَيلٍ وتَعَدٍّ.

بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ: أي: بعقدِ نكاحِ النِّساءِ الكوافِرِ، والكوافِرُ: جَمعُ كافِرةٍ، والعِصَمُ: جمعُ عِصْمةٍ، وهي ما اعتُصِمَ به مِنَ العَقدِ والسَّبَبِ، وأصلُ (عصم): يدُلُّ على إمساكٍ ومَنعٍ ومُلازَمةٍ.

فَعَاقَبْتُمْ: قيل: هو مِن العُقْبى، أي: أصَبْتُم عُقْبى، وهي الغنيمةُ. وقيل: مِن العُقْبةِ، وهي النَّوبةُ والتَّعاقُبُ على الشَّيءِ، أي: فجاءتْ عقبتُكم –أي: نَوبتُكم– مِن أداءِ المهرِ. وقيل: المعنى: فعَلْتُم ما فُعِل بكم، أي: ظَفِرتُم، وهو مِن قَولِك: العُقْبى لفُلانٍ، أي: العاقِبةُ بعدَ الأُولى. وقيل: غزَوْتُم مُعاقِبينَ غزوًا بعدَ غَزوٍ. وقيل: المعنى: أصَبْتُموهم في القتالِ بعُقوبةٍ حتَّى غَنِمتُم، وأصل (عقب) هنا: يدُلُّ على تأخيرِ شَيءٍ وإتيانِه بعدَ غَيْرِه.

تفسير الآيتين:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ عن أصحابِ النَّبيِّ - ﷺ - في قِصَّةِ الحُدَيبيَةِ: ((جاءت المُؤمِناتُ مُهاجِراتٍ، وكانت أمُّ كُلثومٍ بنتُ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ ممَّن خَرَج إلى رَسولِ اللهِ - ﷺ -يَومَئذٍ وهي عاتِقٌ،[26] فجاء أهلُها يَسألونَ النَّبيَّ - ﷺ -أن يَرجِعَها إليهم، فلم يَرجِعْها إليهم؛ لِمَا أنزَلَ اللهُ

(26) العاتِقُ: الشَّابَّةُ أوَّلَ ما تُدْرِكُ.
وقيل: هي الَّتي لم تَبِنْ مِنْ والِدَيها، ولم تُزَوَّجْ، وقد أدْرَكَت وشَبَّت.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (3/179).

فيهنَّ: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا إِذَا جاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ)). وفي روايةٍ: ((ثُمَّ جاءَه نِسْوةٌ مُؤْمِناتٌ فأنْزَل اللَّهُ تعالى: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ...)).[27]

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا إذا جاءَكم النِّساءُ المؤمِناتُ مُهاجِراتٍ مِن بِلادِ الكُفرِ إلى بِلادِ الإسلامِ، فاختَبِروهنَّ.

---

(27) رواه البخاري (2711) (2731 و2732).

ويُنظر ما يأتي (ص: 84).

قال ابنُ تيميَّة: (نزَلَت باتِّفاقِ المُسلِمينَ في قَضيَّةِ الصُّلحِ الَّذي كان بيْنَ النَّبيِّ – ﷺ – وبيْن أهلِ مكَّةَ؛ صُلحِ الحُدَيبيَةِ، لَمَّا شَرط عليهم أن يَرُدَّ المسلمونَ مَن جاءَهم مُسلِمًا، وألَّا يَرُدَّ أهلُ مكَّةَ مَن ذهبَ إليهم مُرتَدًّا، فهاجرَ نِسوةٌ كأمِّ كُلثومٍ بِنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، فنسَخ اللهُ تعالى الرَّدَّ في النِّساءِ، وأمَرَ بردِّ المهرِ عِوَضًا عن رَدِّ المرأةِ).

((مختصر الفتاوى المصرية)) للبعلي (ص: 540).

ويُنظر: ((أحكام أهل الذمة)) لابن القيم (2/678).

وقال ابن حجر: (اختُلِف في تَركِ رَدِّ النِّساءِ إلى أهلِ مكَّةَ مع وُقوعِ الصُّلحِ بيْنَهم وبيْن المسلمينَ في الحُدَيبيةِ على أنَّ مَن جاء منهم إلى المسلمينَ ردُّوه، ومَن جاء مِن المسلمينَ إليهم لم يَرُدُّوه: هل نُسِخ حُكمُ النِّساءِ مِن ذلك فمُنِع المُسلمونَ مِن رَدِّهِنَّ، أو لم يَدخُلْنَ في أصلِ الصُّلحِ، أو هو عامٌّ أُريدَ به الخُصوصُ وبُيِّن ذلك عندَ نُزولِ الآيةِ؟).

((فتح الباري)) (9/419).

وقال القرطبي: (أكثَرُ العُلماءِ على أنَّ هذا ناسخٌ لِما كان عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عاهَد عليه قُريشًا، مِن أنَّه يَرُدُّ إليهم مَن جاءه منهم مُسلِمًا، فنُسِخ مِن ذلك النِّساءُ.

وهذا مذهبُ مَن يرى نَسْخَ السُّنَّةِ بالقرآنِ).

((تفسير القرطبي)) (18/63).

ويُنظر: ((قواطع الأدلة في الأصول)) للسمعاني (1/433)، ((كشف الأسرار شرح أصول البزدوي)) (3/183).

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((إنَّ رَسولَ الله - ﷺ -كان يمتَحِنُ مَن هاجَرَ مِن المؤمِناتِ بهذه الآيةِ: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ [الممتحنة: 12]))(28).

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ.

أي: اللهُ أعلمُ بحَقيقةِ إيمانِ أولئك المهاجِراتِ، وما يُسْرِرْنَه في قُلوبِهنَّ؛ فاحكُموا لهنَّ بما يَظهَرُ لكم مِنَ الدَّلائِلِ.

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ.

أي: فإن عَلِمْتُم بعدَ اختبارِهنَّ أنَّهنَّ مُؤمِناتٌ، فلا تَرُدُّوهنَّ إلى الكُفَّارِ.(29)

---

(28) رواه البخاريُّ (4182) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1866).

(29) قال ابن كثير (١٣/ ٥٢١): «قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ فيه دلالة على أنّ الإيمان يُمكن الاطلاع عليه يقينًا».

لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ.

النَّاسِخُ والمنسوخُ:

هذه الآيةُ نَسَخت ما كان في أوَّلِ الإسلامِ مِن إباحةِ نِكاحِ الكافِرِ للمُسلِمةِ.[30]

لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ.

أي: ليست المُؤمِناتُ بمُباحاتٍ للكافِرينَ بالنِّكاحِ، ولا الكُفَّارُ بجَميعِ مِلَلِهم يَحِلُّونَ للمُؤمناتِ بالنِّكاحِ؛ فقد حَرَّم اللهُ نِكاحَ الكافِرِ للمُؤمِنةِ تحريمًا مُؤَكَّدًا في جميعِ الأحوالِ والأزمانِ.

قال تعالى: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [البقرة: 221].

---

(30) قال ابنُ العربي: (قال أهلُ التَّفسيرِ: أمَرَ اللهُ تعالى مَن كان له زوجةٌ مُشرِكةٌ أن يُطَلِّقَها.

وقد كان الكُفَّارُ يَتزوَّجون المُسلِماتِ، والمسلِمونَ يتزوَّجونَ المُشرِكاتِ، ثمَّ نَسَخ اللهُ ذلك في هذه الآيةِ وغيرِها، وكان ذلك نَسْخَ الإقرارِ على الأفعالِ بالأقوالِ).

((أحكام القرآن)) (231/4).

ويُنظر: ((الناسخ والمنسوخ)) لأبي بكر بن العربي (385/2).

وقال ابن كثير: (هذه الآيةُ هي الَّتي حرَّمت المسلِماتِ على المُشرِكينَ، وقد كان جائزًا في ابتداءِ الإسلامِ أن يتزوَّجَ المُشرِكُ المُؤمِنةَ).

((تفسير ابن كثير)) (93/8).

وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا.

أي: وأعطُوا مَن كانوا أزواجًا للّاتي أسلَمْنَ وهاجَرْنَ إليكم، ما دَفَعوا إليهنَّ مِن مُهورٍ.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.

أي: ولا إثمَ عليكم –أيُّها المؤمِنونَ– أن تتزَوَّجوا المؤمناتِ المُهاجِراتِ إليكم بعدَ انقِضاءِ عِدَّتِهنَّ، ولو كان لهنَّ أزواجٌ مِن الكُفَّارِ في دارِ الشِّركِ، بشَرطِ إعطائِهنَّ مُهورَهنَّ.

وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ.

أي: ومَن كانت له منكم –أيُّها المؤمِنونَ– زوجةٌ مُشرِكةٌ فلْيُطلِّقْها.[31]

عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومَروانَ بنِ الحَكَمِ: (أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – جاءه نِسْوةٌ مُؤمِناتٌ، فأنزَلَ اللَّهُ تعالى: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة: 10] حتَّى بَلَغَ: بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ، فطَلَّق عُمَرُ يومَئذٍ امرأتَينِ كانتا له في الشِّركِ، فتزوَّجَ إحداهما مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ، والأُخرى صَفوانُ بنُ أُميَّةَ).[32]

---

(31) بَيَّنَ ابنُ عطية (٨/ ٢٨٤) أنّ في تأويل ﴿الكوافر﴾ في هذه الآية قولين، فقال: «قيل: الآيات في عابدات الأوثان ومَن لا يجوز نكاحها ابتداء.
وقيل: هي عامة نسخ منها نساء أهل الكتاب».
وذهب ابنُ جرير (٢٢/ ٥٨٣) مستندًا إلى أقوال السلف، وبنحوه ابنُ تيمية (٦/ ٢٩٢) إلى القول الأول.
(32) رواه البخاري (2731).

وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا.

أي: وطالِبوا -أيُّها المؤمِنونَ- بما دفَعْتُم مِن المهورِ إلى أزواجِكم اللَّاتي فارقتُموهنَّ لكُفْرِهنَّ، ولْيُطالِبِ المُشرِكونَ بما دَفَعوا مِن المُهورِ إلى أزواجِهم المؤمِناتِ اللَّاتي هاجَرْنَ إليكم.

ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ.

أي: ما بيَّنه اللهُ تعالى لكم في هذه الآيةِ مِن إرجاعِ مُهورِ النِّساءِ اللَّاتي يَذهَبْنَ إلى الفَريقِ الآخَرِ: هو حُكمُ اللهِ الَّذي يَقضيه بيْنَكم وبيْنَ الكُفَّارِ بالعَدلِ التَّامِّ.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

أي: واللهُ عليمٌ بما يُصلِحُ عِبادَه، حكيمٌ في تدبيرِهم بما يَشرَعُه لهم مِن الأحكامِ، فيُعطي كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11).

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا.

أي: وإن فرَّ بعضُ أزواجِكم -أيُّها المؤمنونَ- إلى الكُفَّارِ ولم يُعطوكم مُهورَهنَّ، فعاقَبْتُم؛ فأعطُوا المؤمنينَ الَّذين فَرَّت أزواجُهم إلى الكُفَّارِ ما دَفَعوه إليهنَّ مِن مُهورٍ.(33)

(33) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٥): «المعاقبة في هذه الآية ليست بمعنى: مجازاة السوء بالسوء، ولكنها بمعنى: فصرتم منهم إلى الحال التي صاروا إليها منكم، وذلك بأن يفوت إليكم شيء من أزواجكم، وهكذا هو التعقيب على الحمل والدواب؛ أن يركب هذا عُقْبة ويركب هذا عُقْبة».

اختُلِف في المال الذي أُمِرَ أن يُعْطى منه الذي ذهبت زوجته إلى المشركين، على ثلاثة أقوال: الأول: يُعطى مِن صداق مَن أسلمن منهنّ عن زوج كافر.

وهو قول الزُّهريّ.

والثاني: يُعطى من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم.

وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

والثالث: يُعطى مِن أي وجوه الفيء أمكن.

وهو قول ثانٍ للزهري ذكره ابن عطية (٨/ ٢٨٥).

وعلَّقَ ابن عطية (٨/ ٢٨٥) على القول الأول بقوله: «هذا قول صحيح، يقتضيه قوله تعالى: ﴿فعاقبتم﴾».

وعلَّقَ على القول الثاني بقوله (٨/ ٢٨٥): «قال هؤلاء: المعاقبة: هي الغزو والمغنم. وتأوَّلوا اللفظة بهذا المعنى».

وذهَبَ ابنُ جرير (٢٢/ ٥٩٣) إلى جواز كلِّ تلك الأقوال استنادًا إلى العموم، فقال: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: أمر الله - عز وجل - في هذه الآية المؤمنين أن يُعْطُوا مَن فرَّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر -إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عقبى: إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم- مثلَ الذي أنفقوا على الفارَّة منهم إليهم، ولم يَخْصُص إيتاءهم ذلك مِن مالٍ دون مالٍ، فعليهم أن يُعطوهم ذلك مِن كلِّ الأموال التي ذكرناها».

وعَلق ابنُ كثير (١٣/ ٥٢٥) على القولين الأول والثاني، فقال: «هذا لا ينافي الأول؛ لأنه إنْ أمكن الأول فهو أولى، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير».

عن سفيان الثوري -من طريق عبد الرزاق- في قوله: ﴿مِثْلَ ما أنْفَقُوا﴾، قال: كان بين النبي - ﷺ - وبين أهل مكة، ولا يُعمَل به اليوم.

أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٧/ ١٨٥ (١٢٧١٠).

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ.

أي: وخافوا اللهَ واحذَروا سَخَطَه وعذابَه، بطاعتِه واجتنابِ مَعصيتِه؛ الَّذي أنتم مُؤمِنونَ بوحدانيَّتِه وصِفاتِه، وثوابِه وعِقابِه.

قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٣): «هذه الآية كلها قد ارتفع حكمها، ثم ندب تعالى إلى التقوى وأوجبها، وذكر العلة التي بها يجب التقوى، وهي الإيمان بالله والتصديق بوحدانيته وصفاته وعقابه وإنعامه».

سورةُ المُمْتَحَنةِ

الآيتان (12–13)

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا
أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ
عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ
يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ
الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13)

غريب الكلمات:

يُبَايِعْنَكَ: البَيعةُ والمُبايَعةُ: العهدُ على الطَّاعةِ والنُّصْرةِ، وما يأخُذُه الإمامُ على رعيَّتِه مِن المَواثيقِ بالسَّمعِ والطَّاعةِ. يُقالُ: بايَعَ السُّلطانَ: إذا تضمَّنَ بَذْلَ الطَّاعةِ بما رضَخ له، والبَيعُ والمُبايَعةُ مأخوذانِ مِن مَدِّ الباعِ؛ لأنَّ المُتبايِعَينِ للسِّلعةِ كلٌّ منهما يمُدُّ باعَه للآخَرِ ويُعاقِدُه عليها، وكذلك مَن بايَع الإمامَ ونحوَه فإنَّه يمُدُّ باعَه إليه ويُعاهِدُه ويُعاقِدُه على ما يُبايِعُه عليه، وقيل: المُبايَعةُ مُفاعَلةٌ مِن البَيعِ؛ لأنَّ صاحِبَها با ع نفْسَه لله.

بِبُهْتَانٍ: أي: افتِراءٍ وكَذِبٍ يَبهَتُ سامِعَه لِفَظاعَتِه، يُقالُ: بَهَت فُلانٌ فُلانًا: إذا كَذَب عليه، وأصلُه مِن قولِهم: بُهِت الرَّجُلُ: إذا تحيَّرَ؛ فالبُهتانُ كَذِبٌ يُحيِّرُ الإنسانَ لعِظَمِه، ثمَّ جُعِل كلُّ باطلٍ يُتحيَّرُ مِن بطلانِه بُهتانًا، وكانت المرأةُ تلتقِطُ الوَلَدَ فتقولُ لزَوجِها: هذا وَلَدي منك، فذلك البُهتانُ المُفترَى هنا.

يَفْتَرِينَهُ: أي: يَتعَمَّدْنَ كَذِبَه، يُقالُ: افترَى فُلانٌ على فُلانٍ: إذا قذَفَه بما ليس فيه، والافتِراءُ: اختِلاقُ الكَذِبِ، وأصلُه: مِنْ فَرْيِ الجِلْدِ، أي: قَطْعِه، فقِيلَ للكَذِبِ: افتِراءٌ؛ لأنَّ الكاذِبَ يَقطَعُ به على التَّقديرِ مِن غيرِ تحقيقٍ.

تفسير الآيتين:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12).

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا.

أي: يا أيُّها النَّبيُّ إذا جاءك المؤمناتُ يُبايِعْنَك على ألَّا يَعبُدْنَ أحدًا غيرَ اللهِ تعالى.(34)

عن أُمَيْمةَ بِنتِ رُقَيْقةَ التَّيْميَّةِ، قالت: ((أتَيْتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – في نِسوةٍ مِن المُسلِمينَ لِنُبايِعَه، فقُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، جِئْنا لِنُبايِعَك على ألَّا نُشرِكَ باللهِ شَيئًا، ولا نَسرِقَ، ولا نَزنيَ، ولا نَقتُلَ أولادَنا، ولا نأتيَ ببُهتانٍ نَفتريه بيْنَ أيدِينا وأرجُلِنا، ولا نَعصيَك في مَعروفٍ. فقال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: فيما استطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ. قالت: قُلْنا: اللهُ ورَسولُه أرحَمُ بنا مِن أنفُسِنا، بايِعْنا يا رَسولَ اللهِ. قال: اذهَبْنَ؛ فقد

---

(34) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٧ – ٢٨٨): «اختلفت هيئات مبايعة رسول الله – ﷺ – النساء بعد الإجماع على أنه لم تمسّ يده يد امرأة أجنبية، فيُروى عن عائشة وغيرها أنه بايع باللسان قولًا، وقال: «إنما قَوْلي لمائة امرأة كقَوْلي لامرأة واحدة».

وقالت أسماء بنت يزيد: كنتُ في النسوة المُبايعات فقلت: يا رسول الله، ابسُط يدك نبايعك.

فقال لي – ﷺ –: «إني لا أصافح النساء، لكن آخذ عليهنّ ما أخذ الله عليهنّ»».

ثم نقل أنّ النّقاش ذكر حديثًا أنّ النبي – ﷺ – مدّ يده مِن خارج بيتٍ، ومدّ نساء من الأنصار أيديهنّ من داخله، فبايعهنّ، ثم علَّق بقوله: «وما قدمتُه أثبت».

بايَعْتُكنَّ، إنَّما قولي لِمِئَةِ امرأةٍ كقَولي لامرأةٍ واحِدةٍ. قالت: ولم يُصافِحْ رَسولُ اللهِ - ﷺ - مِنَّا امرأةً)).[35]

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((شَهِدتُ الصَّلاةَ يومَ الفِطرِ مع رَسولِ اللهِ - ﷺ -، وأبي بكرٍ، وعُمَرَ، وعُثمانَ، فكُلُّهم يُصَلِّيها قبْلَ الخُطبةِ، ثمَّ يَخطُبُ بَعْدُ، فنَزَل نبيُّ اللهِ - ﷺ -، فكأنِّي أنظُرُ إليه حينَ يُجلِّسُ الرِّجالَ بيدِه،[36] ثمَّ أقبَلَ يَشُقُّهم، حتَّى أتى النِّساءَ مع بلالٍ، فقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ حتَّى فرَغ من الآيةِ كُلِّها، ثمَّ قال حينَ فرَغ: أنتُنَّ على

---

(35) أخرجه من طُرُقٍ: الترمذيُّ (1597)، وابنُ ماجه (2874) مختصرًا، والنَّسائيُّ (4181)، وأحمدُ (27007) واللَّفظُ له.
قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ).
وصَحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصحيح)) (4553)، وابنُ القطَّانِ في ((الوهم والإيهام)) (516/5)، وابنُ حجر في ((موافقة الخُبْر الخَبَر)) (527/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (4181)، وصَحَّح إسنادَه ابنُ كثير في ((تفسيره)) (122/8)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (558/44).
قال ابنُ عطيَّة: (الإجماعُ على أنَّه لم تَمَسَّ يَدُه يَدَ امرأةٍ أجنبيَّةٍ قَطُّ).
((تفسير ابن عطية)) (299/5).
(36) أي: يأمُرُهم بالجلوسِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (172/6).

ذلك؟ فقالت امرأةٌ واحدةٌ لم يُجِبْه غيرُها: نَعَمْ يا رَسولَ اللهِ. قال: فتَصَدَّقْنَ، وبَسَطَ بِلالٌ ثوبَه، فجَعَلْنَ يُلقِينَ الفَتَخَ[37] والخواتيمَ في ثَوبِ بِلالٍ)).[38]

وعن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال لنا رَسولُ اللهِ - ﷺ - ونحن في مجلِسٍ: ((تُبايِعوني على ألَّا تُشرِكوا باللهِ شَيئًا، ولا تَسرِقوا، ولا تَزنُوا، ولا تَقتُلوا أولادَكم، ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترونَه بيْن أيديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصُوا في معروفٍ، فمَنْ وفَى منكم فأجْرُه على اللهِ، ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدُّنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا فستَرَه اللهُ فأمْرُه إلى اللهِ؛ إن شاء عاقَبَه، وإن شاء عفا عنه. فبايَعْناه على ذلك)).[39]

وَلَا يَسْرِقْنَ.

أي: ولا يأخُذْنَ مالَ أحدٍ خُفيةً بغَيرِ استِحقاقٍ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((دخَلَتْ هِندُ بِنتُ عُتبةَ امرأةُ أبي سُفيانَ على رَسولِ اللهِ - ﷺ - ، فقالت: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ أبا سُفيانَ رَجُلٌ شَحيحٌ لا يُعطيني مِنَ النَّفَقةِ ما يَكفيني ويَكفي بَنِيَّ إلَّا ما

---

(37) الفَتَخُ: خَواتيمُ كِبارٌ تُلبَسُ في الأيدي، ورُبَّما وُضِعَت في أصابعِ الأرْجُلِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (3/408).
(38) رواه البخاري (4895) واللَّفظُ له، ومسلم (884).
(39) رواه البخاري (7213) واللَّفظُ له، ومسلم (1709).

أخذْتُ مِن مالِه بغيرِ عِلْمِه، فهل علَيَّ في ذلك مِن جُناحٍ؟ فقال رسولُ اللهِ – ﷺ –: خُذي مِن مالِه بالمعروفِ ما يكفيكِ ويكفي بَنِيكِ)).(40)

وَلَا يَزْنِينَ.

أي: ولا يقَعْنَ في الزّنا بتَمكينِ أحَدٍ مِن وَطْئِهنَّ بغَيرِ عَقدٍ صَحيحٍ.

قال تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [الإسراء: 32].

وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ.

أي: ولا يَقتُلْنَ أبناءَهنَّ وبَناتِهِنَّ خَوفًا مِنَ الفَقرِ أو غَيرِه.

وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ.

أي: ولا يُلْحِقْنَ بأزواجِهنَّ أولادًا مِن غَيرِهم.(41)

وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ.

---

(40) رواه البخاريُّ (5364)، ومسلمٌ (1714) واللَّفظُ له.

(41) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٦ – ٢٨٧): «الإتيان بالبهتان؛ قال أكثر المفسرين معناه: أن تنسب إلى زوجها ولدًا ليس هو له.

واللفظ أعمُّ من هذا التخصيص؛ فإنّ الفِرية بالقول على أحد من الناس بعظيمة لَمِن هذا، وإنّ الكذب فيما ائتمنّ عليه من الحمل والحيض لَفرية بُهتان، وبعضٌ أقوى من بعض، وذلك أن بعض الناس قال: ﴿بين أيديهن﴾ يراد به اللسان في الكلام، والفم في القُبلة ونحوها، و(بين الأرجل) يراد به الفروج، وولد الإلحاق ونحوه».

أي: ولا يَعصِينَك –يا محمَّدُ– فيما تأمُرُهنَّ به مِن طاعةِ اللهِ، وتَرْكِ مَعصيتِه؛ كأمْرِك لهنَّ بترَكِ النِّياحةِ وشَقِّ الجُيوبِ والتَّبرُّجِ ووَصلِ الشَّعرِ والخَلوةِ بالرِّجالِ الأجانِبِ، وغَيرِ ذلك.(42)

قال تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [النساء: 80].

وعن أمِّ عَطيَّةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((أخَذَ علينا النَّبيُّ – ﷺ – عندَ البيعةِ ألَّا نَنُوحَ)).(43)

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((ليس مِنَّا مَن ضرَبَ الخُدودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعوى الجاهِليَّةِ))(44).(45)

---

(42) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٧): «المعروف: الذي نُهي عن العصيان فيه.

قال أنس، وابن عباس، وزيد بن أسلم: هو النَّوْح، وشق الجيوب، ووشم الوجوه، ووصْل الشعر، وغير ذلك من أوامر الشريعة فرضها وندْبها».

وقال ابنُ تيمية (٦/ ٢٩٥): «قال: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ فقيّد المعصية، ولهذا فُسّرتْ بالنّياحة.

قاله ابن عباس، ورُوي ذلك مرفوعًا.

وكذلك قال زيد بن أسلم: لا يدعن ويلًا، ولا يَخْدِشن وجهًا، ولا يَنشُرن شعرًا، ولا يَشْقُقن ثوبًا.

وقد قال بعضهم: هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الإسلام وأدلته.

كما قاله أبو سليمان الدمشقي.

ولفظ الآية عام أنهنّ لا يَعصينه في معروف، ومعصيته لا تكون إلا في معروف؛ فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا قيل: فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر إنما تلزم في المعروف، كما ثبت في الصحيح عن النبي – ﷺ – أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف».

ونظير هذا قوله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤]، وهو لا يدعو إلا إلى ذلك».

(43) رواه البخاريُّ (1306) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (936).

(44) دَعْوى الجاهِليَّةِ هي: النِّياحةُ ونَدْبُ الميِّتِ، والدُّعاءُ بالوَيلِ وشِبْهِه، والمرادُ بالجاهِليَّةِ: ما كان في الفَترةِ قَبْلَ الإسلامِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (110/2).

(45) رواه البخاريُّ (1297)، ومسلمٌ (103).

فَبَايِعْهُنَّ.

أي: إذا جاءك –يا محمَّدُ– المؤمناتُ يُبايِعْنَك، فبايِعْهنَّ على الوَفاءِ بتلك الشُّروطِ.

وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ.

أي: واطلُبْ –يا محمَّدُ– مِنَ اللهِ أن يَغفِرَ للمُؤمناتِ المُبايِعاتِ ذُنوبَهنَّ وتَقصيرَهنَّ.

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: إنَّ اللهَ بالغُ المَغفِرةِ لذُنوبِ عِبادِه، بالغُ الرَّحمةِ بهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا لا تتوَلَّوُا الكافِرينَ الَّذين غَضِبَ اللهُ عليهم بسَبَبِ كُفرِهم، فتَتَّخِذوهم أولياءَ لكم.[46]

---

(46) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٩): «قال ابن عباس: هم في هذه الآية كفار قريش.
لأن كل كافر فعليه غضب من الله لا يرد بذلك ثبوت الغضب على اليهود...
ولا سيما في المردة ككفار قريش؛ إذ أعمالهم معصية ليست بمجرد ضلال، بل فيها مناورات مقصودة».
قيل: إنّ «القوم» المشار إليهم في الآية: هم اليهود.
وقيل: هم كفار مكة.

قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.

أي: قد يَئِسوا مِن ثوابِ اللهِ ورَحمتِه في الآخِرةِ كما يَئِسَ الكُفَّارُ الموتى في قُبورِهم مِن ثَوابِ اللهِ ورَحمتِه؛ لأنَّهم وقفُوا على حقيقةِ الحالِ.(47)

وعَلَّق ابنُ عطية (٨/ ٢٨٩) على القولين بقوله: «وفي الكلام في التشـــبيه الذي في قوله: ﴿كما يئس﴾ يتبين الاحتياج إلى هذا الخلاف؛ وذلك أن اليأس من الآخرة: إما أن يكون بالتكذيب بها، وهذا هو يأس كفار مكة، وإما أن يكون باليأس عن الحظّ فيها والنعمة مع التصديق بها، وهذا هو يأس اليهود».

(47) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠) في الآية: «مَن قال: إنّ القومَ المشارَ إليهم: هم كفار مكة.

قال: معنى قوله: ﴿كما يئس الكفار﴾ كما يئس الكافر من صـــاحب قبر؛ لأنه إذا مات له حميم قال: هذا آخر العهد به، لن يُبعث أبدًا.

فمعنى الآية: أن اعتقاد أهل مكة في الآخرة كاعتقاد الكافر في البعث ولقاء موتاه.

وهذا هو تأويل ابن عباس، والحســن، وقتادة في معنى قوله تعالى: ﴿كما يئس الكفار﴾، ومَن قال: إنّ القوم المشـــار إليهم: هم اليهود.

قال: معنى قوله: ﴿كما يئس الكفار﴾ أي: كما يئس الكافر من الرحمة إذا مات، وكان صـاحب قبر، وذلك أنه يُروى أنّ الكافر إذا كان في قبره عُرض عليه مقعده في الجنة أن لو كان مؤمنًا، ثم يُعرض عليه مقعده من النار الذي يصير إليه، فهو يائس من رحمة الله مع علمه بها ويقينه.

وهذا تأويل مجاهد، وابن جبير، وابن زيد في قوله: ﴿كما يئس الكفار﴾ فمعنى الآية: أن يأس اليهود من رحمة الله في الآخرة مع علمهم بها كيأس ذلك الكافر في قبره، وذلك لأنهم قد رين على قلوبهم، وحملهم الحســـد على ترْك الإيمان، وغلب على ظنونهم أنهم معذَّبون، وهذه كانت صفة كثير من معاصري النبي - ﷺ -.

و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن أصـــحاب﴾ على القول الأول هي لابتداء الغاية، وفي القول الثاني هي لبيان الجنس والتبعيض يتوجَّهان فيها، وبيان الجنس أظهر».

ولم يذكر مستندًا.

ورجَّحَ ابنُ جرير (٢٢/ ٦٠٥) القولَ الثاني اســتنادًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «أولى القولين في ذلك عندي بالصــواب قول مَن قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم مِن اليهود مِن ثواب الله لهم في الآخرة وكرامته؛ لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدًا - ﷺ - على علمٍ منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه، مِن تكذيبهم عيسى -صلوات الله عليه- وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية.

عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النَّبيُّ – ﷺ –: ((لا يَدخُلُ أحدٌ الجنَّةَ إلَّا أُرِيَ مَقعَدَه مِن النَّارِ لو أساءَ؛ لِيَزدادَ شُكرًا، ولا يَدخُلُ النَّارَ أحدٌ إلَّا أُرِيَ مَقعَدَه مِنَ الجَنَّةِ لو أحسَنَ؛ لِيَكونَ عليه حَسرةً!)).[48]

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّ أحَدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشِيّ؛ إن كان مِن أهلِ الجنَّةِ فمِن أهلِ الجَنَّةِ، وإن كان مِن أهلِ النَّارِ فمِن أهلِ النَّارِ، يُقالُ: هذا مَقعَدُك حتَّى يَبعَثَك اللهُ إليه يومَ القيامةِ)).[49]

لأنّ الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجهَ لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون».

(48) رواه البخاريُّ (6569).

(49) رواه البخاريُّ (1379)، ومسلمٌ (2866) واللَّفظُ له.

رواه البخاريُّ (1379)، ومسلمٌ (2866) واللَّفظُ له.
رواه البخاريُّ (1379)، ومسلمٌ (2866) واللَّفظُ له.
رواه البخاريُّ (1379)، ومسلمٌ (2866) واللَّفظُ له.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الصَّفِّ

سُورةُ الصَّفِّ

سُورةُ الصَّفِّ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الصَّفِّ).[50]

فعن عَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، قال: ((تذاكَرْنا أيُّكم يأتي رَسولَ اللهِ - ﷺ - فيَسأَلُه: أيُّ الأعمالِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ فلم يَقُمْ أحَدٌ مِنَّا، فأرسَلَ رَسولُ اللهِ - ﷺ - إلينا رجُلًا فجَمَعَنا، فقَرَأَ علينا هذه السُّورةَ، يعني: سُورةَ الصَّفِّ كُلَّها)).[51]

---

(50) وَجهُ التَّسميةِ ذِكرُ لَفظِ الصَّفِّ فيها، في قَولِه تعالى: يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا [الصف: 4] ، وهو صَفُّ القِتالِ.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/462)، ((تفسير ابن عاشور)) (28/171).
قال ابنُ عاشور: (اشتَهَرت هذه السُّورةُ باسمِ «سورةِ الصَّفِّ»، وكذلك سُمِّيَت في عَصرِ الصَّحابةِ...
وبذلك عُنْوِنَت في «صحيحِ البُخاريِّ» وفي «جامعِ التِّرمذيِّ»، وكذلك كُتِبَ اسمُها في المصاحِفِ، وفي كُتُبِ التَّفسيرِ).
((تفسير ابن عاشور)) (28/171).
يُنظر: ((صحيح البخاري)) (6/188)، ((سنن الترمذي)) (5/412).
وقال أبو الحسنِ السَّخاوي: (سورةُ الصفِّ، وتُسمَّى سورةَ الحواريِّينَ).
((جمال القراء وكمال الإقراء)) (1/201).
(51) أخرجه مِن طُرقٍ الترمذيُّ (3309) بنحوه، وأحمدُ (23788) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (4594).
صحَّحه الحاكمُ على شرطِ الشَّيخينِ في ((المستدرك)) (2/79)، وصحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3309)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (39/ 205) وقال: (على شرطِ الشَّيخَينِ).

سُورةُ الصَّفِّ مَدَنيَّةٌ،[52] وحُكيَ الإجماعُ على ذلك.[53]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

التَّحريضُ على نُصرةِ الدِّينِ، والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، والاستِجابةِ لله ولرسولِه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتُتِحَت السُّورةُ بتَسبيحِ اللهِ تعالى، وتنزيهِه عن كُلِّ ما لا يليقُ به.

2- النَّهيُ عن الأقوالِ الَّتي لا تُطابِقُها الأفعالُ.

---

(52) وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، قال ابنُ عطيَّةَ: (وهي مَدَنيَّةٌ في قَولِ الجُمهورِ، وقال مَكِّيٌّ عن ابنِ عَبَّاسٍ، والمَهْدويُّ عن عطاءٍ ومجاهِدٍ: إنَّها مَكِّيَّةٌ.

والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّ معانيَ السُّورةِ تُعَضِّدُه، ويُشبِهُ أن يكونَ فيها المكِّيُّ والمَدَنيُّ).

((تفسير ابن عطية)) (276/5).

ويُنظر: ((التحصيل لفوائد كتاب التفصيل)) للمهدوي (402/6).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن جرير)) (606/22)، ((الوسيط)) للواحدي (290/4)، ((تفسير الزمخشري)) (522/4)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (462/1).

وممَّن نَسَب القَولَ بكَونِها مَدَنيَّةً إلى الجُمهورِ أيضًا: ابنُ الفَرَسِ، وابن الجوزي، وابن عاشور.

يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (554/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (276/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (153/28).

اختُلف هل السورة مكّيّة أم مدنيّة.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٩١) أنّ القول الأول قول الجمهور، ورجَّحه مستندًا إلى السياق، فقال: «والأول أصح؛ لأنّ معاني السورة تعضده».

ثم قال: «ويشبه أن يكون فيها المكيّ والمدنيّ».

(53) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: الماوَرْديُّ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (527/5).

3- ذِكرُ جانبٍ مِمَّا قاله موسى عليه السَّلامُ لِقَومِه، وما لَقِيَه منهم مِن أذًى.

4- ذِكرُ دَعوةِ عيسى عليه السَّلامُ لبني إسرائيلَ، وبِشارتِه بالنَّبيِّ محمَّدٍ - ﷺ -.

5- بيانُ ما جُبِلَ عليه الكافِرونَ مِن كَذِبٍ على الحَقِّ، ومِن كراهيةٍ لِظُهورِ نُورِه.

6- دَعوةُ المؤمِنينَ إلى الجِهادِ في سبيلِ اللهِ بالأنفُسِ والأموالِ، وحَضُّهم على أن يَقتَدُوا بالحَواريِّينَ.

7- البِشارةُ بنَصرِ أهلِ الإيمانِ على أهلِ الكُفْرِ.

سُورةُ الصَّفِّ

الآيات (1-4)

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4)

غريب الكلمات:

كَبُرَ مَقْتًا: أي: عَظُمَ بُغضًا، والمَقْتُ: البُغضُ الشَّديدُ لِمَن تَراه تعاطَى القَبيحَ، وأصلُ (كبر): يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ، وأصلُ (مقت): يدُلُّ على شَناءةٍ وقُبحٍ.

مَرْصُوصٌ: أي: مُلتَزِقٌ بَعضُه ببَعضٍ، والتَّراصُّ: التَّلاصُقُ؛ يُقالُ: رَصصتُ البِناءَ رَصًّا: إذا ضَمَمْتَ بَعْضَه إلى بَعضٍ، وأصلُ (رصص): يدُلُّ على انضِمامِ شَيءٍ إلى شَيءٍ بقُوَّةٍ وتَداخُلٍ.

تفسير الآيات:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قعَدْنا نفرٌ مِن أصحابِ رَسولِ اللَّهِ - ﷺ -، فتذاكَرْنا، فقُلْنا: لو نَعلَمُ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ لَعمِلْناه، فأنزل اللهُ: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: فقَرَأَها علينا رَسولُ الله - ﷺ -)).[54]

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1).

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: نزَّه اللهَ تعالى عن النَّقائصِ والعُيوبِ جَميعُ ما في السَّمَواتِ وجميعُ ما في الأرضِ.

---

(54) أخرجه الترمذيُّ (3309) واللَّفظُ له، وأحمدُ (23788)، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (4594).
صَحَّحه الحاكمُ في ((المستدرك)) (248/2) وقال: (على شرطِ الشَّيخينِ).
وصَحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3309)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (205/39)، وقال: (على شرطِ الشَّيخينِ).

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: واللهُ هو العزيزُ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، فيَنتَقِمُ مِن أعدائِه، الحكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ ممَّا خلَقَه وشَرَعَه وقدَّرَه في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2).

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا لِمَ تَقولونَ القَولَ الَّذي لا تُصَدِّقونَه بالعَمَلِ؛ فتكونَ أعمالُكم مُخالِفةً لأقوالِكم؟! ومِن ذلك تَركُ فِعلِ الخَيرِ لِمَن وَعَد بفِعْلِه، كالجِهادِ في سَبيلِ اللهِ.[55]

---

(55) اختُلف في سبب نزول الآية على أقوال: الأول: أنها أُنزِلَت توبيخًا من الله لقوم من المؤمنين تمنّوا معرفة أفضل الأعمال، فعرّفهم الله إياه، فلما عرفوا قصّروا، فعوتبوا بهذه الآية.

الثاني: نَزَلَتْ في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله – ﷺ –، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول: فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبًا.

الثالث: أنها توبيخ من الله لقوم من المنافقين، كانوا يعِدون المؤمنين النصر وهم كاذبون.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٦٠٩) –مستندًا إلى ظاهر لفظ الآية– القول الأول الذي قاله ابن عباس، من طريق علي، والعَوفيّ، وقول أبي صالح، ومجاهد، وانتقد البقية، فقال: «لأنّ الله –جلّ ثناؤه– خاطب بها المؤمنين، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، ولو كانت نَزَلَتْ في المنافقين لم يُسمّوا ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمّلوا بقولهم: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عمِلناه.

أنهم لو علموا بذلك عملوه، فلما علموا ضعفت قُوى قوم منهم عن القيام بما أمّلوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف».

وكذا رجَّحه ابنُ عطية (٨/ ٢٩٢) مستندًا إلى السياق، فقال: «والقول الأول يترجح بما يأتي بعد مِن أمر الجهاد والقتال».

ووجَّه القول الأخير الذي قاله ابن زيد، فقال: «والقول الأخير في المنافقين إنما يتوجه بأن يكونوا غير مجلّحين بالنفاق».

وعلَّق (٨/ ٢٩١) بعد أن ذكر الأقوال بقوله: «وحكم هذه الآية باقٍ غابر الدهر، وكلّ مَن يقول ما لا يفعل فهو ممقوت مَذِق الكلام».

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77].

وقال سُبحانه: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا [الأحزاب: 15].

وقال عزَّ وجلَّ: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ [محمد: 20، 21].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((آيةُ المنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان)).(56)

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3).

أي: عَظُم واشتَدَّ بُغْضًا عندَ اللهِ قولُكم –أيُّها المؤمنونَ– شَيئًا، ثمَّ لا تفعَلونَه!

(56) رواه البخاري (33)، ومسلم (59).

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4).

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا.

أي: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المجاهِدينَ الَّذين يُقاتِلونَ أعداءَ اللهِ لإعلاءِ دِينِه حالَ كَونِهم مُنتَظِمينَ في صَفِّ القِتالِ.

كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ.

أي: كأنَّهم في اصطِفافِهم للقِتالِ -مِن شِدَّةِ التَّراصِّ والمُساواةِ والثَّباتِ في المراكِزِ- بِناءٌ واحِدٌ عظيمُ الاتِّصالِ، شَديدُ الاستِحكامِ، لاصِقٌ بَعضُه ببَعضٍ، بلا فُرجةٍ ولا خَلَلٍ!

عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ -، قال: ((إنَّ المؤمِنَ للمُؤمِنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعضُه بَعضًا، وشَبَّك أصابِعَه)).(57)

(57) رواه البخاري (481) واللَّفظُ له، ومسلم (2585).

سُورةُ الصَّفِّ

الآيتان (5–6)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)

غريب الكلمات:

زَاغُوا: أي: مالُوا وجارُوا، والزَّيغُ: المَيلُ عن الاستِقامةِ، وأصلُ (زيغ): يدُلُّ على مَيلٍ.

تفسير الآيتين:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5).

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.

أي: واذكُرْ –يا محمَّدُ– حينَ قال موسى لِقَومِه بني إسرائيلَ: يا قَومِ، لِمَ تُصيبونَني بما يُؤذِيني، والحالُ أنَّكم تَعلَمونَ عِلمًا يَقينيًّا أنِّي رَسولُ اللهِ إليكم، وأنَّه يَجِبُ عليكم تَعظيمي والانقيادُ لأَمْري؟!

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [المائدة: 20 – 26].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قَسَم النَّبيُّ - ﷺ - قَسْمًا، فقال رجُلٌ: إنَّ هذه لَقِسْمةٌ ما أُريدَ بها وَجهُ اللهِ! فأخبَرْتُ النَّبيَّ - ﷺ -فغَضِبَ، حتَّى رأيتُ الغضَبَ في وَجْهِه، وقال: يَرحَمُ اللهُ موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذا فصبَرَ!)).[58]

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.

أي: فلمَّا مالَ قَومُ موسى عن الحَقِّ عَمْدًا منهم، أمالَ اللهُ قُلوبَهم عن الهُدى إلى الضَّلالِ؛ عُقوبةً لهم على زَيغِهم عن الحَقِّ، مع تعَمُّدِهم وعِلْمِهم به.

كما قال تعالى حِكايةً عن دُعاءِ الرَّاسِخينَ في العِلمِ: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ [آل عمران: 8].

وقال سُبحانَه: وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا [النساء: 115].

وقال عزَّ وجلَّ: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام: 110].

(58) رواه البخاريُّ (6336) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1062).

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

أي: واللهُ لا يوفِّقُ لاتِّباعِ الحقِّ القَومَ الَّذين آثَروا الخُروجَ عن طاعتِه، وأصَرُّوا على مَعصيتِه.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6).

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.

أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- حينَ قال عيسى ابنُ مَريمَ: يا بني إسرائيلَ إنِّي رَسولُ اللهِ أرسَلَني إليكم؛ لأدعوَكم إلى الخَيرِ، وأنهاكم عن الشَّرِّ.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ.

أي: مُصَدِّقًا للتَّوراةِ الَّتي أُنزِلَت مِن قَبلُ على موسى.

كما قال تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ [المائدة: 46].

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ.

أي: ومُبَشِّرًا لكم برَسولٍ يأتي مِن بَعْدي اسمُه أحمَدُ.

كما قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران: 81، 82].

وقال سُبحانه: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: 157].

وعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه، قال: ((قلْتُ: يا نبيَّ الله، ما كان أولُ بدءِ أمرِك؟ قال: دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرَى عيسى، ورأتْ أمِّي أنَّه يخرجُ منها نورٌ أضاءَتْ منه قصورُ الشَّامِ)).(59)

وعن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ الله – ﷺ –: ((لي خَمسةُ أسماءٍ: أنا محمَّدٌ، وأحمدُ، وأنا الماحي الَّذي يَمحو اللهُ بِيَ الكُفرَ، وأنا الحاشِرُ الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ على قَدَمي، وأنا العاقِبُ))(60).(61)

---

(59) أخرجه الطيالسي (1236) وأحمد (22261) والطبراني (7729).
قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (225/5): إسنادُه حسنٌ، وله شَواهدُ تقويه.
وصحَّحه لغيرِه شعيبٌ الأرناؤوط في تحقيقِ ((مسند أحمد)) (596/36).
(60) العاقِبُ: الَّذي ليس بَعْدَه نَبِيٌّ، والَّذي يَخلُفُ في الخَيرِ مَن كان قَبْلَه.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3696/9).
(61) رواه البخاريُّ (3532) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2354).

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ الله - ﷺ - يُسَمِّي لنا نَفْسَه أسماءً، فقال: أنا محمَّدٌ، وأحمَدُ، والمُقَفِّي،(62) والحاشِرُ، ونَبيُّ التَّوبةِ، ونبيُّ الرَّحمةِ)).(63)

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.

أي: فلمَّا جاءهم بالمُعجِزاتِ الواضِحةِ الدَّالَّةِ على الحَقِّ، قال المعانِدونَ الكافِرونَ: هذا الَّذي جاءَنا به سِحرٌ ظاهِرٌ.(64)

كما قال تعالى: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [سبأ: 43].

---

(62) المُقَفِّي، أي: المُتَّبِعُ؛ مِن قَفَا أثَرَه: إذا تَبِعَه، يعني: أنَّه آخِرُ الأنبياءِ الآتي على أَثَرِهم، ولا نَبيَّ بَعْدَه.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3697/9).

(63) رواه مسلم (2355).

(64) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٩٤) أنّ قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يريد: عيســى - عليه السلام -، وتكون الآية وما بعدها تمثيلًا بأولئك لهؤلاء المعاصرين لمحمد - ﷺ -.
الثاني: أن يكون التمثيل قد فرغ عند قوله: ﴿أَحْمَدُ﴾، ثم خرج إلى ذِكر أحمد لَمّا تطرق ذِكْرُه، فقال مخاطبة للمؤمنين: فلما جاء أحمد هؤلاء الكفار قالوا: هذا سحر مبين.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قراءةُ: سَاحِرٌ.[65]

2- قِراءةُ: سِحْرٌ.[66]

(65) قرأ بها: حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/256).

(66) قرأ بها: الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/256).

سُورةُ الصَّفِّ

الآيات (7–9)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)

غريب الكلمات:

افْتَرَى: أي: اختلَق، والافتراءُ: الاختلاقُ، ومنه قيل: افترى فُلانٌ على فُلانٍ، إذا قذَفه بما ليس فيه، وأصلُ (فري): قطْعُ الشَّيءِ؛ فالفَرْيُ: قطعُه لإصلاحِه، والإفراءُ: قطعُه للإفسادِ، والافتِراءُ فيهما، وفي الإفسادِ أكثرُ.

لِيُظْهِرَهُ: أي: لِيُعليَه ويَنصُرَه؛ مِن المُعاوَنةِ والغَلَبةِ، يُقالُ: ظهَرَ على الشَّيءِ؛ إذا غلَبَه وعلاه، ويصحُّ أن يكونَ مِن البُروزِ، وظَهَر الشَّيءُ أصْلُه: أن يَحصُلَ شَيءٌ على ظَهْرِ الأرضِ فلا يخفى، ثمَّ صار مُستعمَلًا في كلِّ بارزٍ مُبصَرٍ بالبصَرِ والبَصيرةِ، وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على قُوَّةٍ وبُروزٍ.

تفسير الآيات:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ.

أي: ولا أحَدَ أشَدُّ ظُلمًا ممَّن اختَلَق على اللهِ الكَذِبَ، والحالُ أنَّه يُدْعَى إلى الدُّخولِ في دِينِ الإسلامِ!

كما قال تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ [العنكبوت: 68].

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

أي: واللهُ لا يُوَفِّقُ لاتِّباعِ الحَقِّ القَومَ الَّذين ظَلَموا أنفُسَهم، فاختَلَقوا على اللهِ الكَذِبَ، وأصَرُّوا على رَدِّ الحَقِّ مع وُضوحِه.

كما قال تعالى: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [آل عمران: 86].

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8).

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ.

أي: يُريدُ الكافِرونَ أن يُبْطِلوا الحَقَّ الَّذي جاء به مُحَمَّدٌ - ﷺ -من عندِ اللهِ، بما يَتفَوَّهونَ به مِن أكاذيبَ وافتراءاتٍ لا بُرْهانَ عليها!

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ.

أي: واللهُ قد تكفَّل بإتمامِ الحَقِّ، وإشاعةِ نُورِه في الآفاقِ.

كما قال تعالى: وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ [التوبة: 32].

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

أي: ولو كَرِهَ ذلك الكافِرونَ باللهِ مِن المُشرِكينَ أو اليَهودِ، أو النَّصارى أو غيرِهم.

ثُمَّ ذكَرَ الله تعالى سببَ الظُّهورِ والانتِصارِ للدِّينِ الإسلاميّ، فقال:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9).

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ.

أي: اللهُ هو الَّذي بَعَث رَسولَه مُحَمَّدًا - ﷺ - بالعِلمِ النَّافِعِ المُشتَمِلِ على الإيمانِ الصَّحيحِ، ومَعرفةِ أحكامِ اللهِ، وبَعَثَه بدِينِ الإسلامِ المُشتَمِلِ على الأعمالِ الصَّالحِةِ النَّافِعةِ في الدُّنيا والآخِرة.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

أي: ليُعلِيَ اللهُ الإسلامَ بالغَلَبةِ والانتِصارِ في قِتالِ الكُفَّارِ، ويُعلِيَه بالحُجَّةِ والبُرهانِ على سائرِ الأديانِ.(67)

كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا [الفتح: 28].

وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((لا يَذهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حتَّى تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزَّى! فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنْ كُنتُ لَأظُنُّ حينَ أنزَلَ اللهُ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أنَّ ذلك تامًّا! قال: إنَّه سيَكونُ مِن ذلك ما شاء اللهُ)).(68)

---

(67) ذكر ابنُ تيمية (٦/ ٢٩٩ - ٣٢٠) أنّ الظهور المراد هنا فُسّر بأنه ظهور بيان، وفُسّر بأنه ظهور سيف وسنان، ثم علَّق بقوله: «ولفظ الظهور يتناولهما؛ فإنّ ظهور الهدى بالعلم والبيان، وظهور الدّين باليد والعمل، والله تعالى أرسل رسوله بالهُدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله.

ومعلوم أنّ ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال، فإنّ النبي - ﷺ - مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنتْ به المهاجرون والأنصار طوعًا واختيارًا بغير سيف؛ لما بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف، فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعًا؛ فلئن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعًا لِمَن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى».

(68) رواه مسلم (2907).

وعن ثَوبانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سيَبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي مِنها)).(69)

وعن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((شَكَوْنا إلى رَسولِ اللهِ - ﷺ -وهو مُتوَسِّدٌ بُرْدةً له في ظِلِّ الكعبةِ، قُلْنا له: ألا تَستَنصِرُ لنا، ألا تَدْعو اللهَ لنا؟! قال: كان الرَّجُلُ فيمَنْ قَبْلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ، فيُجعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمنشارِ فيُوضَعُ على رأسِه فيُشَقُّ باثنَتَينِ، وما يَصُدُّه ذلك عن دينِه! ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لَحْمِه مِن عَظمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّه ذلك عن دينِه! واللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمرَ حتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنعاءَ إلى حَضْرَموتَ، لا يخافُ إلَّا اللهَ أو الذِّئبَ على غَنَمِه، ولكِنَّكم تَستعجِلونَ!)).(70)

وعن تَميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يَترُكُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخَلَه اللهُ هذا الدِّينَ بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذَليلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفرَ)).(71)

---

(69) رواه مسلم (2889).

(70) رواه البخاري (3612).

(71) أخرجه أحمد (16957) واللَّفظُ له، والحاكم (8326)، والبيهقي (19090).

صحَّحه الحاكِمُ على شرطِ الشَّيخينِ، وقال الألبانيُّ في ((تحذير الساجد)) (158): (على شرطِ مُسلمٍ).

وصَحَّح إسنادَه على شرط مسلمٍ: شُعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (155/28).

وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

أي: سيُظهِرُ اللهُ تعالى دِينَه على جميعِ الأديانِ، ولو كَرِهَ المُشرِكونَ ذلك.

سُورَةُ الصَّفِّ

الآيات (10-13)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)

غريب الكلمات:

عَدْنٍ: أي: إقامَةٍ وخُلدٍ، واستقرارٍ وثَباتٍ، وأصلُ (عدن): يدُلُّ على الإقامةِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10).

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا هل أُرشِدُكم إلى تجارةٍ عَظيمةٍ نافِعةٍ، تُخَلِّصُكم مِن عذابٍ مُؤلِمٍ مُوجِعٍ؟

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11).

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.

أي: تلك التِّجارةُ العَظيمةُ هي أنْ تُؤْمِنوا باللهِ تعالى وبرَسولِه محمَّدٍ - ﷺ -إيمانًا تامًّا مستلزمًا لأعمالِ الجوارحِ، الَّتي مِن أجَلِّها أنْ تُجاهِدوا أعداءَ الإسلامِ ببَذْلِ الأموالِ والأنفُسِ لإعلاءِ كَلِمةِ اللهِ ونصرِ دِينِه.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 111].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سألتُ النَّبيَّ – ﷺ –: أيُّ العَمَلِ أفضَلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ، وجِهادٌ في سَبيلِه)).[72]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، ((أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أفضَلُ؟ فقال: إيمانٌ باللهِ ورَسولِه. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: حَجٌّ مَبرورٌ)).[73]

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سألتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ –: أيُّ الأعمالِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ قال: الصَّلاةُ على وَقتِها. قُلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ بِرُّ الوالِدَينِ. قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ)).[74]

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

أي: ذلك الأمرُ العَظيمُ مِن الإيمانِ باللهِ ورَسولِه، وتَصديقِه بالجِهادِ في سَبيلِ اللهِ بأموالِكم وأنفُسِكم: خيرٌ لكم في الدُّنيا والآخِرةِ إنْ كُنتُم تَعْلَمونَ.[75]

---

(72) رواه البخاري (2518) واللَّفظُ له، ومسلم (84).

(73) رواه البخاري (26) واللَّفظُ له، ومسلم (83).

(74) رواه البخاري (527)، ومسلم (85) واللَّفظُ له.

(75) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٩٦) أن قوله: ﴿خير﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون للتفضيل، فالمعنى: من كل عمل. الثاني: أن يكون إخبارًا أنّ هذا خير في ذاته ونفسه.

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12).

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.

أي: إنْ آمَنتُم باللهِ ورَسولِه وجاهَدْتُم في سَبيلِ اللهِ بأموالِكم وأنفُسِكم، فإنَّ اللهَ يَمْحو عنكم ذُنوبَكم ويَستُرُها ويَقيكم شرَّها؛ فلا يُعَذِّبُكم بها.

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أي: ويُدْخِلْكُم اللهُ جناتٍ تَجْري الأنهارُ مِن تَحْتِ أشجارِها وقصورِها.

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ.

أي: ويُدخِلْكُم اللهُ مَنازِلَ جَمعتْ كلَّ طيبٍ في بنائِها وسَعتِها وعُلوِّها وبهجةِ مَناظرِها ودوامِها إلى غيرِ ذلك، في جَنَّاتِ إقامةٍ دائِمةٍ؛ فلا خُروجَ منها، ولا انتِقالَ عنها.

كما قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 72].

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أي: ذلك الأجرُ والثَّوابُ الجَزيلُ هو وَحْدَه الظَّفَرُ العَظيمُ بالخَيرِ، وحُصولُ النَّجاةِ العَظيمةِ مِن الشَّرِّ.

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13).

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ.

أي: ولكم في الجِهادِ خَصلةٌ أُخرى محبوبةٌ إليكم، تَظفَرونَ بها في الدُّنيا، وهي حُصولُ نَصرٍ مِن اللهِ لكم على أعدائِكم، وحُصولُ فَتحٍ عاجِلٍ تتَّسِعُ به بلادُ الإسلامِ، ويَحصُلُ به خيرٌ لكم.

كما قال تعالى: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: 40، 41].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد: 7].

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.

أي: وبَشِّرْ -يا محمَّدُ- المؤمِنينَ بالجَزاءِ والثَّوابِ في العاجِلِ والآجِلِ.

كما قال تعالى: وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا [الأحزاب: 47].

سُورةُ الصَّفِّ

الآية (14)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)

غريب الكلمات:

لِلْحَوَارِيِّينَ: همْ أصفياءُ عِيسى عليه السَّلامُ وشِيعتُه وناصِرُوه، وخُلاصةُ أصحابِه، وقيل: الحواريُّونَ: صَفوةُ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، الَّذين خلَصوا وأخلَصوا في التَّصديقِ بهم ونُصرتِهم، قيل: سُمِّيَ أصحابُ عيسى بذلك؛ لأنَّهم كانوا يُحوِّرونَ الثِّيابَ، أي: يُبيِّضونَها، مِن: حُرْتُ الثَّوبَ، أي: أخْلَصْتُ بَياضَه بالغَسْلِ، والحَوَرُ: شِدَّةُ البَياضِ، ثُمَّ قيل لخاصَّةِ الرَّجُلِ مِن أصحابِه وأنصارِه: حَوارِيٌّ. وقيل: هم الَّذين أُخلِصُوا ونُقُّوا مِن كلِّ عَيبٍ، وقيل: اشتِقاقُ الحواريِّ مِن حارَ يَحورُ إذا رجَع، فكأنَّهم الرَّاجِعونَ إلى الله، أو الحَواريُّ مِن النَّاسِ هو الَّذي إذا رُجِعَ في اختيارِه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ وُجِدَ نقيًّا مِنَ العُيُوب. وأصلُ (حور) هنا: لَونٌ، والأصلُ الثَّاني: الرُّجوعُ.

فَأَيَّدْنَا: أي: قَوَّيْنا وأعَنَّا، وأصلُ (أيد): يدُلُّ على القُوَّةِ والحِفظِ.

ظَاهِرِينَ: أي: غالِبينَ عالِينَ عليهم، مِن قَولِك: ظَهرْتُ على فُلانٍ: إذا عَلَوتَه، وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على قُوَّةٍ وبُروزٍ.

تفسير الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا كونوا أنصارَ الله، بالأقوالِ والأفعالِ، ونصرِ دينِه والاستجابةِ لله ورسولِه.

كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ.

أي: كما قال عيسى ابنُ مَريمَ لخُلَّصِ أصحابِه المؤمنينَ به، وخاصَّتِهم: مَن يُعِينُني في الدَّعوةِ إلى اللهِ، وإقامةِ دِينِه ونُصرتِه؟

كما قال الله تبارك وتعالى: فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: 52].

وقال سُبحانَه: وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ [المائدة: 111].

وعن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال النَّبيُّ - ﷺ -: ((مَن يأتيني بخبَرِ القَومِ، يومَ الأحزابِ؟ قال الزُّبَيرُ: أنا. ثمَّ قال: مَن يأتيني بخبَرِ القَومِ؟ قال الزُّبَيرُ: أنا. فقال النَّبيُّ - ﷺ -: إنَّ لكُلِّ نَبيٍّ حَوَاريًّا،[76] وحَوارِيَّ الزُّبَيرُ)).[77]

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((ما مِن نَبيٍّ بعَثَه اللهُ في أُمَّةٍ قَبْلي إلَّا كان له مِن أُمَّتِه حَوارِيُّونَ وأصحابٌ، يأخُذونَ بسُنَّتِه، ويَقتَدونَ بأمْرِه، ثمَّ إنَّها تَخلُفُ مِن بَعْدِهم خُلوفٌ[78] يقولونَ ما لا يَفعَلونَ، ويَفعَلونَ ما لا يُؤمَرونَ، فمَن جاهَدَهم بيَدِه فهو مُؤمِنٌ، ومَن جاهَدَهم بلِسانِه فهو مُؤمِنٌ، ومَن جاهَدَهم بقَلْبِه فهو مُؤمِنٌ، وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)).[79][80]

---

(76) الحواريُّ: ناصِرُ الأنبياءِ وصَفوةُ أَتْباعِهم.

يُنظر: ((تاج العروس)) للزَّبيدي (11/103).

(77) رواه البخاري (2846) واللَّفظُ له، ومسلم (2415).

(78) الخُلُوفُ: الخالِفونَ بعدَ السَّالِفينَ.

يُنظر: ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (1/320).

قال النوويُّ: (أمَّا الخُلوفُ فبضَمِّ الخاءِ، وهو جمعُ «خلْف» بإسكانِ اللَّامِ، وهو الخالفُ بشَرٍّ، وأمَّا بفتحِ اللَّامِ فهو الخالفُ بخَيرٍ، هذا هو الأشهرُ).

((شرح النووي على مسلم)) (2/28).

(79) الخَردَلُ: نباتٌ يُضرَبُ المثَلُ بحُبوبِه في الشَّيءِ القليلِ البَليغِ في القِلَّةِ والصِّغَرِ.

يُنظر: ((عمدة القاري)) للعيني (1/170)، ((الكوثر الجاري)) للكوراني (1/75).

(80) رواه مسلم (50).

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ.

أي: قال حَوارِيُّو عيسى له: نحنُ أعوانُك على إقامةِ ونَصرِ ما أرسَلَك اللهُ به مِنَ الحَقّ.

فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ.

أي: فآمنَت جماعةٌ مِن بني إسرائيلَ بنُبُوَّةِ عيسى وما جاءَهم به مِنَ الحَقِّ، وكفَرَت به طائِفةٌ أُخرى فافترَوا عليه كَذِبًا.

فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

أي: فقَوَّيْنا المؤمِنينَ مِن بني إسرائيلَ على عَدُوِّهم مِن الكافِرينَ، فأصبَحوا عالِينَ غالِبينَ.

كما قال تعالى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [آل عمران: 55].

وقال سُبحانَه: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر: 51].

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الجُمُعَةِ

سُورةُ الجُمُعةِ

سُورةُ الجُمُعةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الجُمُعةِ)،(81) ويدُلُّ لذلك ما يلي:

1- عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -كان يقرَأُ في صَلاةِ الفَجْرِ يومَ الجُمُعةِ: الم * تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وأنَّ النَّبيَّ - ﷺ -كان يقرَأُ في صلاةِ الجُمُعةِ سُورةَ الجُمُعةِ، والمنافِقينَ)).(82)

2- وعن الضَّحَّاكِ بنِ قَيسٍ أنَّه كَتَب إلى النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ يَسألُه: ((أيَّ شَيءٍ قَرَأَ رسولُ اللهِ - ﷺ -يومَ الجُمُعةِ سِوى سُورةِ الجُمُعةِ؟ فقال: كان يَقرَأُ هَلْ أتاكَ)).(83)

(81) وَجهُ التَّسْميةِ ذِكرُ لَفظِ الجُمُعةِ فيها؛ في قَولِه تعالى: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ [الجمعة: 9].
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (424/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (204/28).
(82) أخرجه مسلم (879).
(83) أخرجه مسلم (878).

3- عن أبي هُرَيرةَ رَضِي اللهُ عنه، قال: ((كُنَّا جُلوسًا عندَ النَّبيِّ - ﷺ -، فأُنزِلَت عليه سورةُ الجُمُعةِ)).[84]

فضائل السورة وخصائصها:

تُسَنُّ قراءتُها في الرَّكعةِ الأُولى مِن صلاةِ الجُمُعةِ:

عن ابنِ أبي رافعٍ، قال: ((استخلَفَ مَروانُ أبا هُرَيرةَ على المدينةِ، وخرج إلى مكَّةَ، فصلَّى لنا أبو هُرَيرةَ الجُمُعةَ، فقرأ بعدَ سُورةِ الجُمُعةِ في الرَّكعةِ الآخِرةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ [المنافقون: 1]، قال: فأدركتُ أبا هُريرةَ حينَ انصرفَ، فقلتُ له: إنَّك قرأتَ بسُورتَينِ كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ يَقرأُ بهما بالكُوفةِ، فقال أبو هُرَيرةَ: إنِّي سَمِعتُ رَسولَ الله - ﷺ - يقرأُ بهما يومَ الجُمُعةِ)).[85]

وتقدَّم حَديثُ ابنِ عَبَّاسٍ وحَديثُ النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهم: أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ -كان يقرأُ بها في صلاةِ الجُمُعةِ.

سورةُ الجُمُعةِ مَدَنيَّةٌ، ونَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[86]

---

(84) أخرجه البخاري (4897) مطوَّلًا ومسلم (2546) (231).

(85) أخرجه مسلم (877).

(86) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ الجوزي، والقرطبيُّ، والفيروزابادي، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/280)، ((تفسير القرطبي)) (18/91)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/424)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/83).

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

ذِكرُ ما اصطفَى اللهُ به هذه الأُمَّةَ، ومِن ذلك صلاةُ الجُمُعةِ، مع بَيَانِ بَعضِ أحكامِها.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- الثَّناءُ على اللهِ عزَّ وجَلَّ، وذِكرُ مَظاهِرِ نِعَمِه على عِبادِه؛ حيثُ أرسَلَ فيهم رَسُولًا؛ لِيُزكِّيَهم ويُعَلِّمَهم الكِتابَ والحِكْمةَ.

2- تَوبيخُ اليَهودِ وذَمُّهم؛ لعَدَمِ عَمَلِهم بالكتابِ الَّذي أنزَلَه سُبحانَه لهِدايتِهم، وإصلاحِ حالِهم، وإلزامُ الحُجَّةِ عليهم، وإبطالُ زَعْمِهم أنَّهم أولياءُ اللهِ.

3- دَعوةُ المؤمِنينَ إلى المحافَظةِ على صلاةِ الجُمُعةِ، والتَّحذيرُ مِنَ التَّخَلُّفِ عنها، والأمرُ بتَرْكِ ما يَشغَلُ عنها في وَقتِ أدائِها، وتوبيخُ قَومٍ انصَرَفوا عنها.

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٩٩) أنّ النّقاش ذكر قولًا بأنها مكيّة، وانتقده مستندًا لدلالة التاريخ، فقال: «وذلك خطأ ممن قاله؛ لأنّ أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك أمر الجُمُعة لم يكن قطّ بمكة، أعني: إقامتها وصلاتها، وأمّا أمر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدينة».

ونقل أيضًا أنّ النقاش ذكر عن أبي هريرة؟ قال: كُنّا جلوسًا عند رسول الله - ﷺ - حين نزلت سورة الجُمُعة.

وانتقده مستندًا لدلالة التاريخ، فقال: «وهذا أيضًا ضعيف؛ لأن أبا هريرة؟ إنما أسلم أيام خيبر».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٥٥٥) أن ما جاء بالحديث الوارد عن أبي هريرة في تفسير قوله: ﴿وآخَرِينَ مِنهُمْ﴾ [الجمعة: ٣] يدل على مدنيّة السورة.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

الآيات (1–4)

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)

غريب الكلمات:

الْمَلِكِ: أي: المالِكِ للأشياءِ كلِّها، المُصَرِّفِ لها على إرادتِه، لا يَمتنِعُ عليه منها شَيءٌ، وأصلُ (ملك): يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصحَّةٍ.

الْقُدُّوسِ: أي: الطَّاهِرِ مِن كلِّ عيبٍ، المُنَزَّهِ عن كُلِّ نَقصٍ، مِن «القُدْس» وهو: الطَّهارةُ، وأصلُ (قدس): يدُلُّ على الطُّهرِ.

الْعَزِيزِ: أي: الَّذي اتَّصَف بالعِزَّة التَّامَّةِ: عِزَّةِ القَدْرِ -فهو عظيمُ القَدرِ، لا يَبلُغُ أحدٌ قَدْرَه، فلا مِثلَ له، ولا نَظيرَ-، وعِزَّةِ القَهْرِ -فهو قاهِرٌ غالبٌ لا يَغلِبُه شَيءٌ-، وعِزَّةِ الامتِناعِ، فهو مُمْتَنِعٌ عليه النَّقصُ بأيِّ وجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وأصلُ (عزز): يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ وما ضاهاهما مِن غَلَبةٍ وقَهْرٍ.

الْحَكِيمِ: أي: الموصوفِ بكمالِ الحكمةِ، وهي كمالُ العِلمِ والإرادةِ المُتضَمِّنَينِ اتِّساقَ صُنعِه، وجَرَيانَه على أحسَنِ الوُجوهِ وأكمَلِها، ووَضْعَه الأشياءَ مَواضِعَها، فالحكيمُ فَعيلٌ بمعنَى مُفعِلٍ، مِن الإحكامِ، فهو المُحكِمُ الَّذي يُحكِمُ الأشياءَ كونًا وشرعًا، ويحكِمُها عمَلًا وصُنعًا، ومنه قيل: بِناءٌ مُحكَمٌ، أي: قد أُتقِنَ وأُحكِمَ.

والحكيمُ الموصوفُ بكمالِ الحُكمِ -فَعيلٌ بمعنَى فاعِلٍ- مِن الحُكمِ، وهو الفصلُ والأمرُ، فهو الحاكمُ الَّذي له الحُكمُ، وأصلُ (حكم): هو المنعُ، مِن حَكَمةِ اللِّجامِ، وهي الحديدةُ الَّتي تَمنَعُ الفَرَسَ وتَرُدُّه

إلى مَقصدِ الرَّاكبِ، والحِكمةُ هذا قِياسُها؛ لأنَّها تمنَعُ مِن الجهلِ، وكذلك الحاكمُ بيْن النَّاسِ إنَّما هو الفاصلُ بيْنَهم بعِلمِه، والمُلزِمُ لهم ما لا يُمكِنُهم مُخالَفَتُه، ويَمنعُ المحكومَ عليه الخُروجَ عن حُكمِه.

الْأُمِّيِّينَ: أي: العربِ، الَّذين لم يكُنْ لهم كتابٌ، والأُمِّيُّ هو الَّذي لا يَكتُبُ ولا يَقرَأُ المكتوبَ، وكان أغلَبُ العرَبِ كذلك، قيل: سُمِّيَ الأُمِّيُّ بذلك نِسبةً إلى ما ولَدَتْه عليه أُمُّه، أو نِسبةً إلى أُمِّه؛ لأنَّ الكتابَ كان في الرِّجالِ دونَ النِّساءِ، وقيل: نِسبةً إلى الأُمَّةِ؛ لأنَّه الأصلُ في جِبِلَّةِ الأمَّةِ، والكِتابةُ لا تكونُ إلَّا بتعَلُّمٍ.

وَيُزَكِّيهِمْ: أي: يُنمِّيهم بالخَيرِ والتَّربيةِ على الأعمالِ الصَّالحةِ، وحثِّهم على الأخلاقِ الجميلةِ، ويُطهِّرُهم مِن الكُفرِ والمَعاصي والرَّذائلِ وسائرِ الخِصالِ الذَّميمةِ، والتَّزكيةُ: التَّطهيرُ، والزَّكاةُ: النَّماءُ والزِّيادةُ، وأصلُ (زكو): يدُلُّ على النَّماءِ والزِّيادةِ والطَّهارةِ.

وَالْحِكْمَةَ: الحِكمةُ هنا: هي السُّنَّةُ، والحِكمةُ: معرفةُ الحقِّ والعملُ به، والإصابةُ في القولِ والعملِ، وأصلُ (حكم): هو المنعُ، والحِكمةُ هذا قِياسُها؛ لأنَّها تمنَعُ مِن الجهلِ.

تفسير الآيات:

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1).

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: يُنزِّهُ اللهَ تعالى وَحْدَه عن النَّقائصِ والعُيوبِ جَميعُ ما في السَّموات وجَميعُ ما في الأرضِ.

الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ.

أي: المَلِكِ الحقِّ، المالِكِ لجَميعِ الأشياءِ، الكامِلِ التَّصَرُّفِ في جميعِ خَلْقِه بما يَشاءُ، المتَّصِفِ بالطُّهرِ التَّامِّ والنَّزاهةِ البالِغةِ.

كما قال اللهُ تعالى حاكيًا قَولَ الملائِكةِ: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: 30].

وقال سُبحانَه: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران: 26، 27].

وعن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - إذا سلَّمَ مِنَ الوِتْرِ قال: سُبحانَ المَلِكِ القُدُّوسِ -ثلاثَ مرَّاتٍ-، وفي روايةٍ: يُطيلُ في آخِرِهنَّ)).(87)

---

(87) أخرجه أبو داودَ (1430)، والنسائيُّ (1699)، وأحمدُ (21142)، وابنُ حِبَّانَ (2450).

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

أي: العَزيزِ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، فيَنتَقِمُ مِن أعدائِه ويُذِلُّهم، الحَكيمِ فيما خَلَقَ وشَرَعَ وقدَّرَ، فيَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2).

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ.

أي: اللهُ هو الَّذي أرسَلَ في العَرَبِ رَسولًا أُمِّيًّا مِن جملةِ العَرَبِ.[88]

كما قال تعالى: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت: 48].

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ.

صَحَّحه ابنُ القطَّانِ في ((بيان الوهم والإيهام)) (614/5)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (21/3)، والألبانيُّ في ((صحيح أبي داود)) (1430).

وصحَّح إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (120)، وابنُ باز في ((حاشية بلوغ المرام)) (267).

(88) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٠) أنّ الأُمّي في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأ كتابًا.

ونقل قولًا بأنه قيل له ذلك نسبة إلى «أُمّ القرى».

وانتقده مستندًا للدلالة العقلية، والسنة، فقال: «وهذا ضعيف؛ لأن الوصف بالأُمّيين –على هذا– يقف على قريش، وإنما المراد جميع العرب، وفيهم قال النبي – ﷺ –: «إنّا أُمّة أُمّية، لا نَحسب ولا نَكتب، الشهر هكذا وهكذا»».

أي: يَقرَأُ مُحمَّدٌ – ﷺ – على الأُمِّيِّينَ آياتِ القُرآنِ الَّتي أنزَلَها اللهُ عليه، مع كَونِه أُمِّيًّا مِثْلَهم، ويُطَهِّرُهم مِن الأخلاقِ الرَّذيلةِ والعقائِدِ المُنحَرِفةِ، ويُنَمِّيهم بالإيمانِ والأعمالِ الصَّالِحةِ.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.

أي: ويُعَلِّمُهم القُرآنَ الكريمَ والسُّنَّةَ النَّبويَّةَ، فيَفقَهونَ معانيَ كِتابِ اللهِ، وأحكامَ شَرْعِه.[89]

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

أي: وقد كان العَرَبُ الأُمِّيُّونَ مِن قَبلِ إرسالِ مُحمَّدٍ إليهم، وإنزالِ القُرآنِ عليهم: في انحرافٍ ظاهرٍ عن الحَقِّ.

(89) علل ابنُ تيمية (٦/ ٢٠٢) تفسير الحكمة بالسنة بقوله: «لأنّ الله أمر أزواج نبيّه أن يَذكُرنَ ما يُتلى في بيوتهنّ من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السّنة».

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3).

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ.

أي: وبَعَثَ اللهُ الرَّسولَ في آخَرينَ مِنهم يأتُونَ بَعْدَهم.[90]

---

(90) اختُلف في الذين عُنوا بقوله: ﴿وآخرين منهم﴾ على أقوال: الأول: فارس.

الثاني: الرّوم والعَجَم.

الثالث: التابعين من أبناء العرب.

الرابع: أنهم جميع طوائف الناس.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٦٣١) -مستندًا إلى دلالة العموم- القول الأخير الذي قاله مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وابن زيد، والضَّحّاك، فقال: «لأن الله - عز وجل - عمّ بقوله: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ كلّ لاحقٍ بهم من» آخرين «، ولم يخصّص منهم نوعًا دون نوع، فكلّ لاحقٍ بهم فهو من الآخرين الذي لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله - ﷺ - يتلو عليهم آيات الله».

وكذا رجّحه ابن تيمية (٦/ ٣٠٢) مستندًا إلى الدلالة العقلية، والنظائر، فقال: «فإنّ قوله: ﴿وآخرين منهم﴾ أي: في الدّين دون النّسب؛ إذ لو كانوا منهم في النّسب لكانوا من الأمّيين.

وهذا كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الأنفال: ٧٥]».

وساق ابنُ كثير (١٣/ ٥٥٥ بتصرف) الحديث الوارد عن أبي هريرة في تفسير قوله: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾، ثم بيّن دلالته على العموم، فقال: «ففي هذا الحديث دليل...

على عموم بعثته - ﷺ - إلى جميع الناس؛ لأنه فسّر قوله: ﴿وآخرين منهم﴾ بفارس، ولهذا كتب كُتبه إلى فارس والرّوم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله - عز وجل -، وإلى اتّباع ما جاء به».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠١) أن قوله تعالى: ﴿منهم﴾ على هذا القول إنما يريد: في البشرية والإيمان، كأنه قال: وفي آخرين من الناس.

ثم قال: «وذلك أنّا نجد بَعْثه - ﷺ - إلى جميع الخلائق».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ١٥٤) أنه اختُلف في هذا اللحاق المنفي، فقيل: هو اللحاق في الزمان، أي: يتأخر زمانهم عنهم.

وقيل: هو اللحاق في الفضل والسّبق.

ثم علّق بقوله: «وعلى التقديرين فامتنّ عليهم سبحانه بأنْ علّمهم بعد الجهل، وهَداهم بعد الضلالة، ويا لَها مِن مِنّة عظيمة فاقَت المِنن وجَلّت أن يقدر العباد لها على ثمن».

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنَّا جُلوسًا عندَ النَّبيِّ - ﷺ - إذ نزَلَت عليه سُورةُ الجُمُعةِ، فلمَّا قرأ: وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال رجُلٌ: مَنْ هؤلاء يا رَسولَ اللهِ؟ فلم يُراجِعْه النَّبيُّ - ﷺ - حتَّى سأله مرَّةً أو مرَّتَينِ أو ثلاثًا، قال: وفينا سَلْمانُ الفارِسيُّ، فوضَع النَّبيُّ - ﷺ - يَدَه على سَلْمانَ، ثمَّ قال: لو كان الإيمانُ عِندَ الثُّرَيَّا[91] لَنالَه رِجالٌ مِن هؤلاء!)).[92]

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: واللهُ هو العَزيزُ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، وهو الحكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللَّائِقِ به.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4).

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

أي: ذلك فَضلٌ مِنَ اللهِ تَفضَّل به، واللهُ يُعطي فَضْلَه مَن يَشاءُ مِن عِبادِه بحَسَبِ ما تَقتَضيه حِكمَتُه سُبحانَه.

---

(91) الثُّرَيَّا: نَجْمٌ معروفٌ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (642/8).
(92) رواه البخاري (4897) واللفظُ له، ومسلم (2546).
قال ابنُ عاشور: (اعلَمْ أنَّ قولَ النَّبيِّ - ﷺ -: «لو كان الإيمانُ بالثُّرَيَّا لَنالَه رجالٌ مِن هؤلاء»: إيماءٌ إلى مِثالٍ ممَّا يَشمَلُه قولُه تعالى: وَآخَرِينَ مِنْهُمْ؛ لأنَّه لم يُصَرِّحْ في جوابِ سؤالِ السَّائِلِ بلَفظٍ يَقتضي انحصارَ المرادِ بـ «آخَرِينَ» في قَومِ سَلْمانَ).
((تفسير ابن عاشور)) (212/28).

كما قال الله تبارك وتعالى: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: 72 – 74].

وقال سُبحانه: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء: 69، 70].

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

أي: واللهُ صاحِبُ الفَضلِ العَظيمِ الَّذي يَقِلُّ معه كُلُّ فَضلٍ من غيرِه، فلا يُساويه ولا يُدانيه.

سُورةُ الجُمُعةِ

الآيات (5–8)

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ
أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

غريب الكلمات:

مَثَلُ: أي: صِفةٌ، وشبَهُ، والمَثَلُ عبارةٌ عن تَشبيهِ شَيءٍ بشَيءٍ في حُكمِه، وتقريبِ المعقولِ مِن المحسوسِ، أو أحدِ المحسوسَينِ مِن الآخَرِ، واعتبارِ أحَدِهما بالآخَرِ، وأصلُ (مثل): يدُلُّ على مُناظَرةِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

أَسْفَارًا: أي: كُتُبًا، واحِدُها: سِفْرٌ، وهو: الكِتابُ الكَبيرُ؛ لأنَّه يُسفِرُ عن المعنى إذا قُرِئَ، وأصلُ (سفر): يدُلُّ على الانكِشافِ والجَلاءِ.

الَّذِينَ هَادُوا: أي: اليهودُ، والهَودُ: الرُّجوعُ برِفقٍ، قيل: سُمِّيَ اليهودُ مِن: هادَ يَهودُ، إذا تابَ؛ لأنَّهم تابوا عن عِبادةِ العِجلِ، وقالوا: هُدْنَا إِلَيْكَ [الأعراف: 156] ، أي: تُبْنَا، وكان اسمَ مَدحٍ، ثمَّ صارَ بعدَ نَسْخِ شَريعتِهم لازمًا لهم، وإنْ لم يكُنْ فيه معنَى المدحِ، وقيل: كانَتِ اليَهُود تُنسَبُ إلى يَهوذا بنِ يَعقوبَ، فسُمُّوا اليَهوذَ، وعُربتْ بالدَّالِ، ويُقالُ: هادَوا: تهَوَّدوا، أي: صاروا يهودًا، وهادَ فُلانٌ: إذا تحرَّى طَريقةَ اليَهودِ في الدِّينِ.

تفسير الآيات:

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5).

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا.

أي: مَثَلُ عُلَماءِ اليَهودِ الَّذين كلَّفَهم اللهُ تعالى العَمَلَ بالتَّوراةِ، ثمَّ لم يَعمَلوا بها، وكَذَّبوا بمُحَمَّدٍ الَّذي أُمِروا في التَّوراةِ بالإيمانِ به واتِّباعِه: كمَثَلِ الحِمارِ الَّذي يَحمِلُ على ظَهْرِه كُتُبًا لا يَعقِلُ ما فيها، ولا ينتَفِعُ بما تَحْويه!

بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ.

أي: بِئسَ هذا المَثَلُ المَضروبُ للقَومِ الَّذين كَذَّبوا بآياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على صِدقِ رُسُلِه، وما جاؤُوا به مِنَ الحَقِّ؛ فأولئك الأحبارُ مِن اليَهودِ قد ضَمُّوا إلى جَهْلِهم بمعاني التَّوراةِ تَكذيبَهم بالقُرآنِ!

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

أي: واللهُ لا يُوَفِّقُ لاتِّباعِ الحَقِّ القَومَ الَّذين ظَلَموا أنفُسَهم بالكُفرِ بآياتِه، وتكذيبِ رُسُلِه، وأصَرُّوا على إنكارِ الحَقِّ مع وُضوحِه.

كما قال تعالى: وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم: 27].

وقال سُبحانَه: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [آل عمران: 86].

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6).

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– لأولئك اليَهودِ: يا مَن تَدَيَّنوا باليَهوديَّةِ، إنْ كُنتُم صادِقينَ في زَعْمِكم أنَّكم أحبابُ اللهِ مِن دُونِ النَّاسِ، فإنَّ اللهَ يُكرِمُ أحبابَه ولا يُعَذِّبُهم، فتَمَنَّوُا الموتَ لِتَستريحوا مِن تَعَبِ الدُّنيا وهمومِها، وتَنتَقِلوا إلى الجِنانِ ونَعيمِها!

كما قال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ [المائدة: 18].

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7).

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ.

أي: ولا يَتمَنَّى اليهودُ الموتَ أبَدًا؛ بسَبَبِ ما قدَّمَتْه أيديهم في الدُّنيا مِن الكُفرِ والتَّكذيبِ، وتحريفِ الحَقِّ، واقترافِ المعاصي.

كما قال الله تبارك وتعالى: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [البقرة: 94 – 96].

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.

أي: واللهُ ذو عِلمٍ بالغٍ تامٍّ بمَن يَظلِمُ نَفْسَه بالكُفرِ والمعاصي مِنَ اليَهودِ وغَيرِهم، لا يَخفى عليه شَيءٌ مِن أَمْرِهم، وسيُجازيهم على أعمالِهم.

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8).

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– لأولئك اليَهودِ: إنَّ الموتَ الَّذي تَهرُبونَ منه فتَكرَهونَه وتأبَونَ تَمنِّيَه: لا بدَّ أن يُدرِكَكم ويَنزِلَ بكم.

كما قال الله تبارك وتعالى: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ [النساء: 78].

وقال سُبحانَه: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [العنكبوت: 57].

ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

أي: ثمَّ تُرجَعونَ –أيُّها اليَهودُ– بعدَ مَوتِكم إلى اللهِ الَّذي يَعلَمُ كُلَّ شَيءٍ، سَواءٌ ما غاب عن خَلْقِه، أو ما هو مُشاهَدٌ لهم، لا يخفَى عليه سُبحانَه شَيءٌ مِن أعمالِكم.

قال تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ [الأنعام: 62].

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

أي: فيُخبِرُكم اللهُ بما كُنتُم تَعمَلونَه في الدُّنيا، ويُجازيكم عليه.

قال تعالى: ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [الزمر: 7].

سُورةُ الجُمُعةِ

الآيات (9–11)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)

غريب الكلمات:

وَذَرُوا: أي: اترُكوا، ودَعُوا، يُقالُ: فُلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذِفُه لقِلَّةِ اعتِدادِه به.

فَانْتَشِرُوا: أي: فتفرَّقوا لإقامةِ مَصالِحِكم، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فتحِ شَيءٍ وتشعُّبِه.

وَابْتَغُوا: أي: اطْلُبوا، مِن بغَى الشَّيءَ، أي: طَلَبه.

تُفْلِحُونَ: أي: تَفوزون بالمطلوبِ، وتَنجون مِن المرهوبِ، وأصلُ الفلاحِ: البقاءُ والفوزُ والظَّفَرُ، وإدراكُ البُغيةِ، ثمَّ قيل لكلِّ مَن عقَل وحزَمَ وتكاملتْ فيه خِلالُ الخَيرِ، والعربُ تقولُ لكلِّ مَن أصاب خيرًا: مُفلِحٌ، وأصلُ (فلح) هنا: يدُلُّ على فَوزٍ وبَقاءٍ.

لَهْوًا: اللَّهْوُ: ما يَشغَلُ الإنسانَ عمَّا يَعْنيه ويُهِمُّه، وأصلُ (لهو): يدُلُّ على شُغلٍ عن شَيءٍ بشَيءٍ.

انْفَضُّوا: أي: تَفرَّقوا، والفضُّ: كَسْرُ الشَّيءِ، والتَّفريقُ بيْنَ بَعضِه وبَعضِه، وأصلُ (فضض): يدُلُّ على التَّفريقِ والتَّجزئةِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا إذا أذَّن المؤذِّنُ داعِيًا إلى الصَّلاةِ في يومِ الجُمُعةِ-وذلك عندَ قُعودِ الإمامِ على المِنبَرِ للخُطبةِ-؛ فامضوا إلى خُطبة الجمعةِ وصَلاتِها مُبادِرينَ مُهْتمِّينَ، واتْرُكوا البَيعَ.[93]

---

(93) ذكر ابنُ تيمية (٦/ ٣٠٤ – ٣٠٥) أنّ لفظ «السعي» في الأصل اسم جنس، وأنّ من شأن أهل العُرف إذا كان الاسم عامًّا لنوعين، فإنهم يفردون أحد نوعيه باسم، ويبقى الاسم العام مختصًّا بالنوع الآخر، كما في لفظ «ذوي الأرحام» فإنه يعمّ جميع الأقارب مَن يَرث بفرضٍ وتعصيب، ومَن لا فرض له ولا تعصيب، فلما ميّز ذو الفرض والعصبة، صار في عُرف الفقهاء ذوو الأرحام مختصًّا بمن لا فَرض له ولا تعصيب.

ثم بيّن أنه بسبب هذا الاشتراك الحادث غلط كثير من الناس في فهم الخطاب بلفظ السعي من هذا الباب، فإنه في الأصل عامٌّ في كل ذهاب ومُضِيّ، وهو السعي المأمور به في القرآن، وقد يخص أحد النوعين باسم المشي، فيبقى لفظ السعي مختصًّا بالنوع الآخر، وهذا هو السعي الذي نهى عنه النبي – ﷺ – حيث قال: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأْتُوها وأنتم تمشون».

ونقل عن عمر أنه قال بنحو قول ابن مسعود، وعلّق عليه بقوله: «وهذا إنّ صح عنه فيكون قد اعتقد أنّ لفظ السعي هو الخاص».

ثم قال: «ومما يشبه هذا: السعي بين الصفا والمروة؛ فإنه إنما يُهرول في بطن الوادي بين الميلين.

ثم لفظ السعي يُخصّ بهذا، وقد يُجعل لفظ السعي عامًّا لجميع الطواف بين الصفا والمروة، لكن هذا كأنه باعتبار أنّ بعضه سعي خاص».

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٣) قولًا بأنه إنما يلزم السعي من سمع النّداء، ونسبه لابن عمر، وابن المسيب، وابن حنبل، وانتقده بقوله: «وفي هذا نظر».

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((نحن الآخِرونَ السَّابِقونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ[94] أنَّهم أُوتوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتيناهُ مِن بَعْدِهم، وهذا يومُهم الَّذي فُرِضَ عليهم، فاختَلَفوا فيه، فهَدانا اللهُ له، فهُمْ لنا فيه تَبَعٌ، فاليَهودُ غدًا، والنَّصارى بعدَ غدٍ)).[95]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((مَنِ اغتَسَلَ يومَ الجُمُعةِ غُسْلَ الجَنابةِ ثمَّ راح فكأنَّما قَرَّب بَدَنةً،[96] ومَن راح في السَّاعةِ الثَّانيةِ فكأنَّما قَرَّب بَقَرةً، ومَن راح في السَّاعةِ الثَّالثةِ فكأنَّما قَرَّب كَبشًا أقرَنَ،[97] ومَن راح في السَّاعةِ الرَّابِعةِ فكأنَّما قَرَّب دجاجةً، ومَن راح في السَّاعةِ الخامِسةِ فكأنَّما قَرَّب بَيضةً، فإذا خرجَ الإمامُ حضَرت الملائِكةُ يَستَمِعونَ الذِّكْرَ)).[98]

---

(94) بَيْدَ: أي: غَيْرَ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (1008/3).
(95) رواه البخاريُّ (876)، ومسلمٌ (855) واللَّفظُ له.
(96) البَدَنةُ هنا: مِن الإبلِ، ذكرًا أمْ أنثى، والتَّاءُ للوحدةِ لا للتَّأنيثِ، والمرادُ: تصَدَّقُ بها مُتقرِّبًا إلى الله تعالى.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (159/2).
(97) الأقرَن مِن الكِباشِ: الَّذي له قَرْنٌ، ووصَفَه بالأقرَنِ؛ لأنَّه أكمَلُ وأحسَنُ صورةً، ولأنَّ قَرنَه يُنتفَعُ به.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (137/6)، ((فتح الباري)) لابن حجر (172/1).
(98) رواه البخاريُّ (881)، ومسلمٌ (850).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ وأبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنهم، أنَّهما سَمِعا رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ على أعوادِ مِنبَرِه: ((لَيَنتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ[99] الجُمُعاتِ، أو لَيَختِمَنَّ اللهُ على قُلوبِهم، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِن الغافِلِينَ)).[100]

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

أي: السَّعيُ إلى الخُطبةِ والصَّلاةِ يومَ الجُمُعةِ، وتَركُ البَيعِ: خَيرٌ لكم مِنَ البَيعِ والشِّراءِ في ذلك الوَقتِ إنْ كُنتُم تَعلَمونَ.

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10).

---

(99) وَدْعِهِم: أي: تَرْكِهِم.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (152/6).
(100) رواه مسلم (865).

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

أي: فإذا فَرَغْتُم مِن صَلاةِ الجُمُعةِ فتفرَّقوا في الأرضِ، واطْلُبوا مِن رِزقِ اللهِ إنْ شِئتُم؛ فلا حَرَجَ عليكم في ذلك.(101)

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

أي: واذكُروا اللهَ ذِكرًا كثيرًا في جميعِ أحوالِكم، فلا تُلْهِيَنَّكم تجارةٌ ولا بَيعٌ عن ذِكرِ اللهِ؛ لعَلَّكم تظفَرونَ بما تَطلُبونَه مِن الخَيرِ، وتَنجون ممَّا تَرهبون.

كما قال تعالى: فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ [النساء: 103].

وقال سُبحانَه: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [العنكبوت: 17].

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11).

---

(101) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٤ – ٣٠٥) أنّ مقتضى هذا الأمر الإباحة، إلا ما رُوي عن أنس عن النبي – ﷺ – أنه قال: «ذلك الفضل المُبتغى هو عيادة مريض، أو صِلة صديق، أو اتّباع جنازة».
ثم علَّق بقوله: «وفي هذا ينبغي أن يكون المرء بقية يوم الجمعة، ويكون تخيرّه صُبح يوم السبت».
وهو قول جعفر.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -كان يَخطُبُ قائِمًا يومَ الجُمُعةِ، فجاءت عِيرٌ[102] مِن الشَّامِ، فانفتَلَ[103] النَّاسُ إليها، حتَّى لم يَبْقَ إلَّا اثنا عَشَرَ رَجُلًا؛ فأُنزِلَت هذه الآيةُ الَّتي في الجُمُعةِ: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)).[104]

---

(102) العِيرُ: الإبلُ بأحْمالِها.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (3/329).

(103) انفتَلَ: أي: انصَرَف.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2/770).

(104) رواه البخاريُّ (936)، ومسلمٌ (863) واللَّفظُ له.

قال ابن الجوزي: (قال المفسِّرونَ: كان الَّذي قَدِم بالتِّجارةِ دِحْيةَ بنَ خَليفةَ الكَلْبيَّ، قال مقاتلٌ: وذلك قبْلَ أن يُسْلِمَ.

قالوا: قَدِمَ بها من الشَّامِ، وضُرِب لها طبلٌ يُؤْذِنُ النَّاسَ بقُدومِها.

وهذه كانت عادتُهم إذا قَدِمَتْ عِيرٌ).

((تفسير ابن الجوزي)) (4/284).

ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/328).

وقال العُلَيمي: (كان قد أصاب المدينةَ قَحطٌ شديدٌ، وكان دِحْيةُ بنُ خليفةَ الكَلْبيُّ يأتيهم بكلِّ ما يَحتاجون إليه مِن بُرٍّ وشَعيرٍ وغيرِهما من الشَّامِ، وكان إذا قَدِمَ ضُرِب الطَّبلُ؛ لِيُعلَمَ به، فقَدِمَ يومَ الجُمعةِ -وذلك قبْلَ إسلامِه- والنَّبيُّ - ﷺ - يَخطُبُ، فضُرِب الطَّبلُ، فخرَجَ النَّاسُ إليه ومَن في المسجدِ؛ خوفًا أن يُسبَقوا، ولم يَبْقَ عِندَه - ﷺ - غيرُ اثنَيْ عَشَرَ رجُلًا وامرأةً).

((تفسير العليمي)) (7/54).

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.

أي: يقولُ اللهُ تعالى مُعاتِبًا بعضَ أصحابِ رَسولِه – ﷺ –: وإذا رَأَوا تجارةً أو لَهْوًا وَقْتَ خُطبةِ الجُمُعةِ الَّتي هي جَديرةٌ بشِدَّةِ الإصغاءِ إليها، والاتِّعاظِ بها في صَرْفِ النَّفْسِ عن الدُّنيا، والإقبالِ على الآخِرةِ؛ انصَرَفوا إلى تلك التِّجارةِ مُسرِعينَ، وتَرَكوك –يا محمَّدُ– قائمًا على المِنبَرِ تَخطُبُ.(105)

قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– لأولئك المُنصَرِفينَ إلى التِّجارةِ أو اللَّهوِ: ما عِندَ اللهِ مِن الأجرِ والثَّوابِ خَيرٌ لِمَن يَسمَعُ خُطبةَ الجُمُعةِ، ويَحضُرُ صَلاتَها، مِن لَذَّةِ اللَّهوِ، ومِن رِبحِ التِّجارةِ!

كما قال تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور: 36، 37].

---

(105) اختُلف في اللهو على أقوال: الأول: كان كبرًا ومزامير.

الثاني: كان طبلًا.

الثالث: لعبًا.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٦٤٩) القول الأول مستندًا إلى أقوال السلف، فقال: «والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي رويناه عن جابر [المذكور في نزول الآية وتفسيرها]؛ لأنه قد أدرك أمر القوم

وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

أي: واللهُ خيرُ مَن رزَق وأعطَى في الدُّنيا والآخِرةِ؛ فليس الصَّبرُ على طاعةِ اللهِ مُفَوِّتًا للرِّزقِ، ومَن اتَّقى اللهَ رَزَقَه مِن حيثُ لا يَحتَسِبُ.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُنافِقونَ

سُورةُ المُنافِقونَ

سُورةُ المُنافِقونَ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المُنافِقونَ).[106]

فعن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((... فلمَّا أصبَحْنا قرأ رَسولُ اللهِ - ﷺ -سورةَ المُنافِقينَ)).[107]

فضائل السورة وخصائصها:

تسنُّ قراءتُها في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن صَلاةِ الجُمُعةِ:

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -كان يَقرَأُ في صلاةِ الجُمُعةِ سورةَ الجُمُعةِ، والمُنافِقينَ)).[108]

(106) سُمِّيت هذه السُّورةُ بهذا الاسمِ؛ اعتبارًا بذِكرِ أحوالِ المنافِقينَ وصِفاتِهم فيها.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (231/28).

(107) أخرجه الترمذيُّ (3313)، والطَّبَرانيُّ (187/5) (5041)، والحاكمُ (3812) مطوَّلًا.

قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ)، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3313).

(108) أخرجه مسلم (879).

سورةُ (المُنافِقونَ) مَدَنيَّةٌ، ونَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.(109)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

فَضحُ أحوالِ المُنافِقينَ، والكَشْفُ عن دخائِلِهم، وعن خِسَّةِ نُفوسِهم.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- وَصفُ المنافِقينَ وبَيانُ سَيِّئِ خِصالِهم؛ مِنَ الكَذِبِ، والأَيْمانِ الفاجِرةِ، والجُبْنِ.

2- النَّهيُ عن نِسيانِ ذِكرِ اللهِ تعالى، والغَفلةِ عنه.

3- حَثُّ المؤمنينَ على الطَّاعةِ وإنفاقِ المالِ قَبْلَ انقِضاءِ الأجَلِ.

---

(109) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والفيروزابادي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/285)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/286)، ((تفسير القرطبي)) (18/120)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/465)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (3/86).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٧) أنّ هذه السورة مدنيّة بإجماع، ثم قال: «وذلك أنها نزلت في غزوة بني المُصْطَلِق؛ بسبب أنّ عبد الله بن أُبيّ بن سَلول كانت منه في تلك الغزوة أقوال، وكان له أتباع يقولون قوله، فنَزلت السورة كلّها بسبب ذلك».

سُورةُ المُنافِقون

الآيات (1-3)

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3)

غريب الكلمات:

الْمُنَافِقُونَ: المنافِقُ هو مَن يُظهِرُ الإسلامَ ويُبطِنُ الكفرَ، قيل: سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه يَستُرُ كُفرَه، فأشْبَهَ الدَّاخِلَ للنَّفقِ يَستَتِرُ فيه. وقيل: شُبِّهَ باليَرْبُوعِ الَّذي له جُحْرٌ يُقالُ له: النَّافِقاءُ، وآخَرُ يُقالُ له: القاصِعاءُ، فإذا طُلِب مِن القاصِعاءِ خرَج مِن النَّافِقاءِ، وكذلك المنافِقُ يَخرُجُ مِن الإيمانِ مِن غيرِ الوجهِ الَّذي يَدخُلُ فيه. وقيل: شُبِّه باليَربُوعِ مِن جِهةِ أنَّ اليَربُوعَ يَخرِقُ الأرضَ حتَّى إذا كاد يَبلُغُ ظاهِرَها أرَقَّ التُّرابَ، فإذا رابه رَيبٌ دفَع ذلك التُّراب برأسِه فخرَج، وأصلُ (نفق) هنا: يدُلُّ على إخفاءِ شَيءٍ وإغْماضِه، ويُمكِنُ أن يكونَ الأصلُ هو الخُروجَ.

أَيْمَانَهُمْ: أي: حَلِفَهم، واليَمينُ: القَسَمُ، وسُمِّيَ الحَلِفُ يَمِينًا –وهو اسمُ اليَدِ–؛ لأنَّهم كانوا يَبْسُطون أيْمانَهم إذا حَلَفوا أوْ تحالَفوا، ثمَّ كثُر ذلك حتَّى سُمِّيَ الحلفُ والعهدُ نفْسُه يمينًا، وقِيل: يَمِينٌ فَعيلٌ مِن اليُمنِ، وهو البَرَكةُ، سَمَّاها اللهُ تعالَى بذلك؛ لأنَّها تحفَظُ الحُقوقَ.

جُنَّةً: أي: تَقِيَّةً وسُترةً، وأصلُ (جنن): يدُلُّ على سَترٍ.

فَطُبِعَ: أي: خُتِمَ ورُبِطَ، أي: فلا يَعي وَعظًا، ولا يُوَفَّقُ لخَيرٍ، وأصلُه يدُلُّ على التَّغطيةِ على الشَّيءِ والاستيثاقِ منه، بألَّا يَدخُلَه شَيءٌ، ولا يَخرُجَ منه شَيءٌ.

لَا يَفْقَهُونَ: أي: لا يَفهمونَ، والفِقهُ هو مُطلَقُ الفَهمِ، أو: فَهْمُ الأشياءِ الدَّقيقةِ، يُقالُ: فَقِهتُ الكلامَ: إذا فَهِمْتَه حقَّ الفَهمِ، والفِقهُ: التَّوصُّلُ إلى عِلمٍ غائبٍ بعِلمٍ شاهِدٍ، فهو أخصُّ مِن العِلمِ، وأصلُ (فقه): يدُلُّ على إدراكِ الشَّيءِ، والعِلمِ به.

تفسير الآيات:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كُنتُ مع عَمِّي فسَمِعتُ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ ابنَ سَلولَ يقولُ: لا تُنفِقوا على مَن عِندَ رَسولِ اللهِ حتَّى يَنفَضُّوا، ولَئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ! فذكرتُ ذلك لعَمِّي، فذكَرَ عَمِّي للنَّبيِّ - ﷺ -، فدعاني فحدَّثْتُه، فأرسَلَ إلى عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ وأصحابِه، فحَلَفوا ما قالوا، وكذَّبَني النَّبيُّ - ﷺ -وصدَّقَهم، فأصابني غَمٌّ لم يُصِبْني مِثْلُه قَطُّ، فجَلَسْتُ في بيتي، وقال عَمِّي: ما أردْتَ إلى أن كذَّبَك النَّبيُّ - ﷺ -ومَقَتَك! فأنزل اللهُ تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وأرسل إليَّ النَّبيُّ - ﷺ - فقَرَأَها، وقال: إنَّ اللهَ قد صدَّقَك!)).[110]

وفي روايةٍ: ((فأنزَل الله عزَّ وجلَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ إلى قولِه: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ إلى قولِه: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)).[111]

---

(110) رواه البخاريُّ (4904) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2772).

(111) رواه البخاريُّ (4901).

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1).

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ.

أي: إذا حَضَر عِندَك -يا محمَّدُ- المنافِقونَ الَّذين يُظهِرون الإسلامَ ويُبطِنونَ الكُفرَ، قالوا على وَجهِ التَّأكيدِ والجَزمِ كَذِبًا بألسِنَتِهم: نَشهَدُ إنَّك لَرَسولُ اللهِ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ.

أي: قال اللهُ تعالى: واللهُ الَّذي أرسَلَك -يا محمَّدُ- يَعلَمُ أنَّك رسولُه حَقًّا.

كما قال سُبحانَه: وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا [النساء: 79].

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.

أي: واللهُ يَشهَدُ إنَّ المنافِقينَ لَكاذِبونَ في دَعْواهمُ الإيمانَ برَسولِ اللهِ؛ فهم يقولونَ ما لا يَعتَقِدون صِحَّته في قُلوبِهم.

كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [البقرة: 8، 9].

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2).

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

أي: جَعَل المُنافِقونَ حَلِفَهم الكاذِبَ للمُؤمنينَ سَترًا ووِقايةً لهم؛ فيَستُرونَ به نِفاقَهم، ويتَّقونَ القَتْلَ أو العُقوبةَ على كُفْرِهم، ويَصونونَ أنفُسَهم وذَراريَّهم وأموالَهم، فصَدُّوا بذلك عن طَريقِ الحَقِّ والهُدى.(112)

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أي: بِئسَ ما كان يَعمَلُه المنافِقونَ مِن اتِّخاذِهم أيْمانَهم جُنَّةً، فصار ذلك دَيدنًا لهم وطَبْعًا وجِبِلَّةً!

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3).

أي: الَّذي سبَّب جُرْأتَهم على اللهِ ورَسولِه باتِّخاذِهم أيْمانَهم جُنَّةً: أنَّهم عَرَفوا الحَقَّ ثمَّ تَرَكوه، واستَبدلوا الضَّلالةَ بالهُدَى فلم يتَّبِعوه؛ فختَم اللهُ على قُلوبِهم، فصارت لا تَعِي ولا تَهتَدي!(113)

---

(112) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٨) أنّ قوله تعالى: ﴿فصدوا﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون غير مُتعدّ، تقول: صدّ زيد.
الثاني: أن يكون مُتعدّيًا كما قال:
صددتِ الكأس عنا أم عمرو
فالمعنى: صدّوا غيرهم ممن كان يريد الإيمان، أو من المؤمنين في أن يقاتلوهم وينكروا عليهم.

(113) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٠٨) أنّ قوله تعالى: «﴿ذلك﴾ إشارة إلى فعل الله تعالى في فضيحتهم وتوبيخهم».
ثم ساق احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل أن تكون الإشارة إلى سُوء ما عملوا، فالمعنى: ساء عملهم بأن كفروا بعد إيمانهم».
قال ابنُ عطية (٨/ ٣٠٨): «قوله تعالى: ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ إما أن يراد به منهم: مَن كان آمن ثم نافق بعد صحّة من إيمانه، وقد كان هذا موجودًا، وإما أن يريدهم كلّهم، فالمعنى: ذلك أنهم أظهروا الإيمان ثم كفروا في باطن أمرهم، فسمّى ذلك الإظهار: إيمانًا».

كما قال تعالى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة: 10].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا [النساء: 137].

سُورةُ المُنافِقونَ

الآيات (4–6)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6)

غريب الكلمات:

مُسَنَّدَةٌ: أي: مَنصوبةٌ، مُمالةٌ إلى الجِدارِ، يُقالُ: أسنَدْتُ الشَّيءَ، أي: أمَلْتُه، وأصلُ **(سند)**: يدُلُّ على انضِمامِ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ.

صَيْحَةٍ: الصَّيحةُ: المَرَّةُ مِن الصِّياحِ، وهو: رَفعُ الصَّوتِ، وأصلُ **(صيح)**: يدُلُّ على الصَّوتِ العالي.

يُؤْفَكُونَ: أي: يُصرَفونَ عن الحَقِّ، وأصلُ **(أفك)**: يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ، وصَرفِه عن جِهتِه.

لَوَّوْا: أي: أمالوا؛ إعراضًا واستِكبارًا، وأصلُ **(لوي)**: يدُلُّ على إمالةِ شَيءٍ.

تفسير الآيات:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4).

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ.

أي: وإذا رأيتَ هؤلاء المُنافِقينَ –يا محمَّدُ– تُعجِبُك أبدانُهم؛ لاستواءِ خَلْقِهم، وحُسْنِ هَيئَتِهم، وجمالِ صُوَرِهم!

وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ.

أي: وإن يَتكَلَّموا تُصْغِ لكلامِهم، وتَستَمِعْ إليه؛ لفصاحَتِهم وبلاغتِهم، وحُسنِ مَنطِقِهم، وحلاوةِ مَعانيه.

كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ [البقرة: 204 – 206].

كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ.

أي: مَثَلُهم كأخشابٍ قد قُطِعَت من مَغارِسِها، وقُشِرَت وأُسنِدَت إلى الجُدُرِ، فهي تَنالُ إعجابَ ناظِرِها، ولكِنَّها جامِدةٌ لا ثباتَ لها ولا ثَمرةَ، ولا تُسقَى بماءٍ، ولا منفعةَ فيها، وهكذا المُنافِقونَ مجرَّدُ صُوَرٍ لا رُوحَ فيها، وأجسادٍ لا عَقْلَ لها، ولا فِقْهَ، ولا عِلْمَ!

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ.

أي: يَظُنُّ المُنافِقونَ كلَّ صَيحةٍ يَسمَعونَها -كنِداءِ مُنادٍ أو إنشادِ ضالَّةٍ، ونحوِ ذلك- أنَّها نازِلةٌ بهم، وواقِعةٌ عليهم، وأنَّهم يُرادونَ بذلك؛ لِجُبنِهم، وخَوَرِهم، وسوءِ ظَنِّهم، وخوفِهم أنْ يَكْشِفَ اللهُ أسرارَهم.

كما قال تعالى: أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا [الأحزاب: 19].

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ.

أي: المُنافِقونَ هم أعداءُ المُسلِمينَ على الحقيقةِ؛ فاحذَرْهم -يا مُحمَّدُ-، فلا تَثِقْ بأقوالِهم، ولا تغترَّ بصُوَرِهم، ولا تَركَنْ إليهم، ولا تَستَودِعْهم أسرارَكم؛ فهم يُظهِرونَ غيرَ ما يُبطِنونَ، ويُعِينُونَ الكُفَّارَ عليكم سِرًّا، ويَتربَّصونَ بكم الدَّوائِرَ، وهم أشَدُّ ضَرَرًا عليكم مِن الكُفَّارِ المجاهِرينَ بالعَداوةِ.

قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ.

أي: لَعَنَ اللهُ المُنافِقينَ وأخزاهم، كيف يُصرَفونَ عن الحَقِّ مع وُضوحِ دَلائِله؟![114]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (5).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ.

أي: وإذا قال المُسلِمونَ للمُنافِقينَ: تعالَوا إلى رَسولِ اللهِ؛ لِيَطلُبَ مِنَ اللهِ مَغفِرةَ ذُنوبِكم، أمالوا رُؤوسَهم وصَرَفوها إلى جهةٍ أُخرى؛ امتِناعًا مِن ذلك.

عن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا مع النَّبيِّ - ﷺ - في سَفَرٍ أصاب النَّاسَ فيه شِدَّةٌ، فقال عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ لأصحابِه: لا تُنفِقوا على مَن عِندَ رَسولِ اللهِ حتَّى يَنفَضُّوا مِن حَولِه، وقال: لَئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ! فأتَيتُ النَّبيَّ - ﷺ - فأخبَرْتُه، فأرسَلَ إلى عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ فسأَلَه، فاجتهَد يَمينَه ما فعَل! قالوا: كَذَب زَيدٌ رَسولَ اللهِ - ﷺ -! فوقَعَ في نَفْسي ممَّا قالوا

---

(114) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣١٠) أنّ قوله تعالى: ﴿أَنّى يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: كيف يُصـــرفون، ثم قال: «ويحتمل أن يكون ﴿أنّى﴾ استفهامًا، كأنه قال: كيف يُصرفون؟! أو لأي سبب لا يرون أنفسهم؟! ويحتمل أن يكون: ﴿أنّى﴾ ظرفًا لـــ ﴿قاتَلَهُمُ﴾ كأنه قال: قاتَلَهُم الله كيف انصرفوا وصُرفوا.

فلا يكون في القول استفهام على هذا».

شِدَّةٌ، حتَّى أنزل اللهُ عَزَّ وجَلَّ تصديقي في: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ [المُنافِقونَ: 1]، فدعاهم النَّبيُّ - ﷺ - لِيستغفِرَ لهم، فلَوَّوا رُؤُوسَهم)).[115]

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ.

أي: ورأيتَهم يُعرِضونَ؛ أَنَفةً واستِكبارًا عمَّا دُعُوا إليه مِنَ المجيءِ لِرَسولِ اللهِ؛ كي يَستغفِرَ لهم.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6).

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

أي: سواءٌ أَستَغفَرْتَ لهؤلاء المُنافِقينَ ذُنوبَهم -يا محمَّدُ- أم لم تَستغفِرْ لهم؛ فإنَّ اللهَ لن يَغفِرَ لهم ذُنوبَهم، ولن يَترُكَ مُعاقَبتَهم عليها.

كما قال الله تبارك وتعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة: 80].

---

(115) رواه البخاريُّ (4903) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2772).

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

أي: إنَّ اللهَ لا يُوفِّقُ للإيمانِ به وبرَسولِه القَومَ الخارِجينَ عن طاعتِه، المُصِرِّينَ على الكُفرِ به ومَعصِيَتِه.

سُورةُ المُنافِقون

الآيتان (7–8)

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)

غريب الكلمات:

يَنْفَضُّوا: أي: يَتفَرَّقوا، وأصلُ (فضض): يدُلُّ على تفريقٍ وتَجزِئةٍ.

تفسير الآيتين:

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن زَيدِ بنِ أرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا قال عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ: لا تُنفِقُوا على مَن عِندَ رَسولِ اللهِ، وقال أيضًا: لَئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ؛ أخبرَتُ به النَّبيَّ - ﷺ - فلامني الأنصارُ، وحَلَفُ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ما قال ذلك، فرجَعْتُ إلى المنزِلِ فنِمْتُ، فدعاني رَسولُ اللهِ - ﷺ - فأتَيْتُه، فقال: إنَّ اللهَ قد صَدَّقَك، ونزَل: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا... الآيةَ)).[116]

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7).

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا.

أي: المُنافِقونَ هم الَّذين يَقولونَ: لا تُنفِقوا على أصحابِ رَسولِ اللهِ حتَّى يَتفرَّقوا عنه.

---

(116) أخرجه البخاري (4902).

وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: ولله جَميعُ ما في السَّموات والأرضِ مِن الأرزاقِ وغَيرِها، وهو وَحْدَه المتصَرِّفُ في أسبابِ حُصولِ الأرزاقِ بمَشيئتِه؛ فيُعطي مَن يَشاءُ بفَضْلِه، ويَمنَعُ مَن يَشاءُ بحِكْمتِه.

كما قال تعالى: لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الشورى: 12].

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ.

أي: ولكِنَّ المُنافِقينَ لا يُدرِكونَ ذلك، فلا يَعلَمونَ كَمالَ قُدرةِ اللهِ، وأنَّ ما شاء حُصولَه يَسَّرَه، وأنَّه المتصَرِّفُ في الكَونِ بمَشيئتِه، وبيَدِه الأرزاقُ يُقَسِّمُها بيْنَ عِبادِه بحِكْمَتِه.

كما قال تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الروم: 37].

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8).

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

أي: يقولُ المُنافِقونَ: لَئِنْ رَجَعْنا مِن غَزوةِ بَني المُصطَلِقِ إلى المدينةِ الَّتي هي بَلَدَتُنا، لَيُخرِجَنَّ الأقوى والأشَدُّ فيها الضَّعيفَ الأذَلَّ الَّذي جاء إلى مدينتِنا وسَكَن فيها.

عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كُنَّا في غَزاةٍ، فكَسَعَ(117) رَجُلٌ مِن المهاجِرينَ رَجُلًا من الأنصارِ، فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ! وقال المُهاجِريُّ: يا لَلمُهاجِرينَ! فسَمَّعها اللهُ رسولَه – ﷺ – ، قال: ما هذا؟! فقالوا: كَسَع رَجُلٌ مِن المهاجِرينَ رَجُلًا مِن الأنصارِ، فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجِريُّ: يا لَلمُهاجِرينَ! فقال النَّبيُّ – ﷺ –: دَعُوها؛ فإنَّها مُنْتِنةٌ. قال جابِرٌ: وكانت الأنصارُ حينَ قَدِمَ النَّبيُّ – ﷺ –أكثَرَ، ثمَّ كَثُرَ المهاجِرونَ بَعْدُ، فقال عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ: أوَقَد فعَلوا؟! واللهِ لَئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ. فقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه: دَعْني يا رَسولَ اللهِ أضرِبْ عُنُقَ هذا المُنافِقِ. قال النَّبيُّ – ﷺ –: دَعْه، لا يَتحدَّثُ النَّاسُ أنَّ محمَّدًا يقتُلُ أصحابَه)).(118)

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

أي: ولِلهِ القُوَّةُ والغَلَبةُ والمَنَعةُ ولِرَسولِه وللمُؤمِنينَ، أمَّا المُنافِقونَ فهم الأذِلَّاءُ المهانُونَ حقًّا.

---

(117) كَسَعَ: أي: ضَرَب دُبُرَه وعَجِيزتَه بيَدٍ أو رِجلٍ أو سَيفٍ وغَيرِه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (138/16).
(118) رواه البخاريُّ (4907) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2584).

كما قال تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا [فاطر: 10].

وقال سُبحانَه: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ [الصافات: 180].

وعن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يَقولُ: ((لَيَبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يَترُكُ اللهُ بَيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخَلَه اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكُفْرَ)).(119)

وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالسَّناءِ والرِّفْعةِ، والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ، فمَن عَمِلَ منهم عَمَلَ الآخِرةِ للدُّنيا، لم يَكُنْ له في الآخِرةِ نَصيبٌ)).(120)

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

أي: ولكنَّ المُنافِقينَ لا يَعلَمونَ ذلك، فيَظنُّونَ أنَّ العِزَّةَ لهم؛ اغترارًا بباطِلِهم.

(119) أخرجه أحمدُ (16957) واللَّفظُ له، والحاكمُ (8326)، والبيهقيُّ (19090).
صحَّحه الحاكمُ على شرطِ الشَّيخَينِ، وقال الهيثميُّ في ((مجمع الزوائد)) (17/6): (رجالُه رجالُ الصَّحيحِ).
وقال الألبانيُّ في ((تحذير الساجد)) (158): (على شرطِ مُسلمٍ).
وصَحَّح إسنادَه على شرط مسلمٍ: شُعَيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (155/28).
(120) أخرجه أحمد (21220) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ (405)، والحاكمُ (7862).
قال الهيثميُّ في ((مجمع الزوائد)) (223/10): (رجالُه رجالُ الصَّحيحِ).
ووثَّق رواتَه البوصيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (348/7)، وصحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح الجامع)) (2825).

سُورةُ المُنافِقونَ

الآيات (9–11)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11)

غريب الكلمات:

تُلْهِكُمْ: أي: تَشْغَلْكم، واللَّهْوُ: ما يَشغَلُ الإنسانَ عمَّا يَعْنيه ويُهِمُّه، وأصلُ (لهو): يدُلُّ على شُغلٍ عن شَيءٍ بشَيءٍ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا لا تَشْغَلْكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذِكرِ اللهِ تعالى، كما يَفعَلُ المُنافِقون.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

أي: ومَن يُشْغَلْ بأموالِه وأولادِه عن ذِكرِ اللهِ تعالى فأولئك هم الخاسِرونَ حَقًّا.

كما قال الله تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التغابن: 15].

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10).

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ.

أي: وتَصَدَّقوا -أيُّها المؤمِنونَ- مِمَّا رَزَقْناكم مِن الأموالِ، سواءٌ بالزَّكاةِ المفروضةِ، والنَّفَقاتِ الواجِبةِ، أو بالصَّدَقاتِ المُستَحَبَّةِ.(121)

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أي: أَنفِقُوا مِن قَبلِ أن يَنزِلَ بأحَدِكم أسبابُ الموتِ، ويُشاهِدَ حُضورَ عَلاماتِه، فيَقولَ عِندَ احتِضارِه: يا رَبِّ هلَّا أمهَلْتَني فتُؤخِّرَ موتي إلى وَقتٍ قَصيرٍ، فأتصدَّقَ وأكونَ مِنَ العامِلينَ بطاعتِك!

كما قال تعالى: وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ [إبراهيم: 44، 45].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: 99، 100].

---

(121) اختُلف في قوله تعالى: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾ على قولين: الأول: أنّ ذلك عام في مفروض ومندوب. ذكره ابنُ عطية (٨/ ٣١٥).

الثاني: أن المراد: الزكاة.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ٣١٥) القول الأول، ولم يذكر مستندًا.

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11).

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا.

أي: ولن يُؤَخِّرَ اللهُ أجَلَ أيِّ أحَدٍ، فيَزيدَ في عُمُرِه إذا حضَرَ وَقتُ مَوتِه.

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

أي: واللهُ ذو خِبرةٍ تامَّةٍ بالِغةٍ بجَميعِ أعمالِكم؛ خَيرِها وشَرِّها، ظاهِرِها وباطِنِها، ونيَّاتِكم بها، ومَقاصِدِكم منها، لا يَخْفى عليه شَيءٌ مِن ذلك، وسيُجازيكم عليه.

تَفْسيرُ
سُورَةِ التَّغابُنِ

سُورةُ التَّغابُنِ

سورةُ التَّغابُنِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (التَّغابُنِ).[122]

(122) سُمِّيَت سـورةَ التَّغابُنِ؛ لوُقوعِ لَفظِ التَّغابُنِ فيها –ولم يَقَعْ في غيرِها مِنَ القُرآنِ– في قَولِه فيها: ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [التغابن: 9] ، ولا تُعرَفُ بغيرِ هذا الاسمِ.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (467/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (258/28).
قال ابن كثير: (هذه السُّورةُ هي آخرُ المُسبِّحاتِ).
((تفسير ابن كثير)) (135/8).

سورةُ التَّغابُنِ مُختَلَفٌ في كَونِها مَدَنيَّةً، أو مَكِّيَّةً، أو مكِّيَّةً مدَنيَّةً.[123]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

بَيانُ حَقيقةِ التَّغابُنِ وأسبابِه وعَواقِبِه، كما تُرشِدُ إلى طريقِ الفَوزِ والفَلاحِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- تسبيحُ المخلوقاتِ للهِ تعالى، وأنَّ المُلْكَ للهِ وَحْدَه، وأنَّه الحقيقُ بإفرادِه بالحَمْدِ، وبيانُ ألوانٍ مِن مَظاهِرِ قُدرتِه، وسَعةِ عِلمِه، ومِنَنِه على خَلْقِه.

2- إنذارُ المُشرِكينَ بذِكرِ ما حَلَّ بمَن قَبْلَهم مِن الأُمَمِ، مع بيانِ السَّبَبِ فيما نالهم مِن ذلك.

---

(123) قال السمعاني: (هي مَدَنيَّةٌ في قولِ الأكْثَرين).

((تفسير السمعاني)) (5/448).

وكذا قال القرطبيُّ، ونسبَ ابنُ الجَوزيِّ وابنُ عاشورٍ هذا القولَ إلى الجُمهورِ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/291)، ((تفسير القرطبي)) (18/131)، ((تفسير ابن عاشور)) (28/258).

وممَّن اختار أنَّها مكِّيَّةٌ: الرَّازيُّ، والقاسميُّ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (30/551)، ((تفسير القاسمي)) (9/242).

وقيل: مِن قولِه عزَّ وجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن: 14] إلى آخِرِ السُّورةِ مَدَنيٌّ.

وممَّن اختاره: الزَّجَّاجُ، والثعلبي، والفيروزابادي.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/179)، ((تفسير الثعلبي)) (9/325)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/467).

وقال مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ: (مدَنيَّةٌ، وفيها مكِّيٌّ).

((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/367).

3- الرَّدُّ على المشركِينَ الَّذين زَعَموا أنَّهم لن يُبعَثوا.

4- المقابَلةُ بيْنَ حُسنِ عاقبةِ المؤمنينَ، وسُوءِ عاقبةِ الكافِرينَ.

5- بيانُ أنَّ كُلَّ شَيءٍ يَقَعُ في هذا الكَونِ هو بقَضاءِ اللهِ وقَدَرِه.

6- تحريضُ المؤمنينَ على طاعةِ اللهِ تعالى ورَسولِه.

7- الإخبارُ بأنَّ مِن الأزواجِ والأولادِ أعداءً للمَرءِ، وأنَّ الأموالَ والأولادَ فِتنةٌ.

8- الحَثُّ على التَّقْوى والإنفاقِ في سبيلِ اللهِ تعالى.

سورةُ التَّغابُنِ

الآيات (1–4)

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4)

غريب الكلمات:

بِذَاتِ الصُّدُورِ: أي: بالضَّمائِرِ والنِّيَّاتِ والأسرارِ؛ خَيرِها وشَرِّها؛ لأنَّها في الصُّدورِ، تَحُلُّها وتُصاحِبُها، وذاتُ: صاحبةُ، مؤنَّثُ (ذو) بمعنى صاحبٍ، وقيل: بحقيقةِ ما في الصُّدورِ، وذاتُ الشَّيءِ: نفْسُه وحَقيقتُه.

تفسير الآيات:

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(1).

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: يُنزِّهُ اللهَ تعالى عن النَّقائِصِ والعُيوبِ جَميعُ ما في السَّمَواتِ، وجَميعُ ما في الأرضِ مِن مخلوقاتِه.

لَهُ الْمُلْكُ.

أي: للهِ وَحْدَه المُلْكُ التَّامُّ المُطلَقُ في الدُّنيا والآخِرةِ، فهو مُتصرِّفٌ في جميعِ خَلْقِه، ماضٍ فيهم حُكْمُه، نافِذٌ فيهم أمْرُه.

وَلَهُ الْحَمْدُ.

أي: هو وَحْدَه المحيطُ بصِفاتِ الكَمالِ، وهو المُستَحِقُّ دونَ غَيرِه للثَّناءِ على كَمالِ صِفاتِه وأفعالِه، وما يَخلُقُه ويُقَدِّرُه ويَحكُمُ به سُبحانَه.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: واللهُ ذو قُدرةٍ تامَّةٍ شامِلةٍ على فِعلِ ما يشاءُ، بلا مُمانَعةٍ ولا مُدافَعةٍ، لا يُعجِزُه شَيءٌ سُبحانَه.

ثمَّ ذكَر اللهُ تعالى بعضَ مقدوراتِه، فقال:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2).

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ.

أي: اللهُ هو الَّذي أوجَدَكم مِنَ العَدَمِ -أيُّها النَّاسُ- فمِنكم الكافِرُ الجاحِدُ، ومنكم المؤمِنُ المصَدِّقُ. (124)

كما قال تعالى: فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ [الأعراف: 30].

---

(124) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣١٧ – ٣١٨) في معنى الآية قولين: الأول: أنّ «قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ تعديد نعمه».
ثم علّق عليه بقوله: «والمعنى فمنكم كافر لنعمته في الإيجاد حين لم يوجد كافر لجهْله بالله تعالى، ومنكم مؤمن بالله، والإيمان به شُكرٌ لنعمته، فالإشارة في هذا التأويل في الإيمان والكفر هي إلى اكتساب العبد، هذا قول جماعة من المتأولين، وحجتهم قول النبي – ﷺ –: «كلّ مولود يولد على الفطرة».
وقوله تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]، وكأنّ العبارة في قوله تعالى: ﴿فمنكم﴾ تعطي هذا، وكذلك يقوّيه قوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾».
والثاني: «وقيل: المعنى: خلقكم فمنكم مؤمن ومنكم كافر في أصل الخلق».
ثم علّق بقوله: «فهي جملة في موضع الحال، فالإشارة على هذا في الإيمان والكفر هي إلى اختراع الله تعالى وخلْقه، وهذا تأويل ابن مسعود وأبي ذر، ويجري مع هذا المعنى قول النبي – ﷺ –: «إنّ أحدكم يكون في بطن أمه نُطفة أربعين يومًا، ثم علقة أربعين يومًا، ثم مُضغة أربعين يومًا، ثم يجيء الملَك، فيقول: يا ربّ، أذكر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه».
فقوله في الحديث: «أشقيّ أم سعيد؟» هو في هذه الآية: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾، ويجري مع هذا المعنى قوله في الغلام الذي قتله الخضر: «إنه طُبع يوم طُبع كافرًا».
وما روى ابن مسعود أنه – عليه السلام – قال: «خلَق الله فرعون في البطن كافرًا، وخلَق يحيى بن زكرياء مؤمنًا»».

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: حدَّثنا رَسولُ اللهِ - ﷺ - وهو الصَّادِقُ المصدوقُ-:

((إنَّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُه في بَطنِ أمِّه أربعينَ يومًا، ثمَّ يكونُ عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَكونُ مُضغةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكًا فيُؤمَرُ بأربعِ كَلِماتٍ، ويُقالُ له: اكتُبْ عَمَلَه، ورِزْقَه، وأجَلَه، وشَقيٌّ أو سعيدٌ، ثمَّ يَنفُخُ فيه الرُّوحَ؛ فإنَّ الرَّجُلَ منكم لَيَعملُ حتَّى ما يكونُ بيْنَه وبيْنَ الجنَّةِ إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه كِتابُه، فيَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّارِ، ويَعمَلُ حتَّى ما يكونُ بيْنَه وبيْنَ النَّارِ إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكِتابُ، فيَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ)).(125)

وعن عَليِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كُنَّا في جِنازةٍ في بَقيعِ الغَرْقَدِ، فأتانا رَسولُ اللهِ - ﷺ -، فقعَد وقعَدْنا حَوْلَه، ومعه مِخْصَرةٌ، فنَكَّسَ فجعَلَ يَنكُتُ بمِخْصَرتِه، ثمَّ قال: ما مِنْكم مِن أحدٍ، ما مِن نَفْسٍ مَنفُوسةٍ إلَّا وقد كَتَب اللهُ مَكانَها مِنَ الجنَّةِ والنَّارِ، وإلَّا وقد كُتِبَت شَقيَّةً أو سعيدةً! فقال رجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أفلا نَمكُثُ على كِتابِنا، ونَدَعُ العَمَلَ؟! فقال: مَن كان مِن أهلِ السَّعادةِ فسيَصيرُ إلى عَمَلِ أهلِ السَّعادةِ، ومَن كان مِن أهلِ الشَّقاوةِ فسيَصيرُ إلى عَمَلِ أهلِ الشَّقاوةِ، اعمَلوا فكُلٌّ مُيسَّرٌ؛ أمَّا أهلُ السَّعادةِ فيُيَسَّرونَ لعَمَلِ أهلِ السَّعادةِ، وأمَّا أهلُ الشَّقاوةِ فيُيَسَّرونَ لعمَلِ أهلِ

---

(125) رواه البخاريُّ (3208) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2643).

الشَّقاوةِ، ثمَّ قرَأ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [الليل: 5 – 10])).(126)

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

أي: واللهُ الَّذي خلقَكم بَصيرٌ بجميعِ أعمالِكم؛ خَيرِها وشَرِّها، يَراها ويَعلَمُها، لا يَخْفى عليه شَيءٌ منها، وسيُجازيكم عليها.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3).

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ.

أي: خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ والأرضَ بالعَدلِ والحِكمةِ، ولم يَخلُقْهما باطِلًا ولا عَبَثًا.

كما قال تعالى: وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: 191].

وقال سُبحانَه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ [ص: 27].

---

(126) رواه البخاريُّ (1362)، ومسلمٌ (2647) واللَّفظُ له.

وقال تبارك وتعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الدخان: 38، 39].

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.

أي: وصوَّركم اللهُ فأحسَنَ أشكالَكم، وتخطيطَ خِلقَتِكم، فصِرْتُم ذَوِي شَكلٍ جَميلٍ، ومَنظرٍ بَهِيٍّ.(127)

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 6 – 8].

وقال سُبحانَه: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين: 4].

وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

أي: وإلى اللهِ وَحْدَه مَرجِعُ جَميعِ عِبادِه بعْدَ مَوتِهم.

---

(127) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣١٩) في قوله: ﴿فأحسن صوركم﴾ قولين: الأول: حُسن الخِلقةِ وجمال الصورة في الوجه والجوارح. وذكر الثاني، فقال: «وقال بعض العلماء: النّعمة المُعدّدة هنا إنما هي صورة الإنسان مِن حيث هو إنسان مُدرك عاقل، فهذا هو الذي حسن له حتى لحق ذلك كمالات كثيرة».

ثم رجّح –مستندًا إلى اللغة– الأول، فقال: «والقول الأول أحرى في لغة العرب؛ لأنها لا تعرف الصور إلا الشكل».

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(4).

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: يَعلَمُ اللهُ جميعَ ما في السَّمواتِ والأرضِ، فلا يَخفى عليه شَيءٌ مِن خَلْقِه.

وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.

أي: ويَعلَمُ اللهُ ما تُسِرُّونَه فيما بَيْنَكم مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وما تُظهِرونَه منها.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

أي: واللهُ بالِغُ العِلمِ بما في قُلوبِ عِبادِه مِن نيَّاتٍ ومَقاصِدَ، وخَبايا وأسرارٍ، لا يَخفَى عليه شيءٌ مِن ذلك.

سورةُ التَّغابُنِ

الآيات (5–8)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ (6) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8)

غريب الكلمات:

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: أي: جزاءَ ذنْبِهم، وعاقِبةَ أمرِهم مِن الشَّرِّ، والوَبالُ: الوَخامةُ وسُوءُ العاقِبةِ، وأصلُ (وبل): يدُلُّ على شِدَّةٍ فِي شَيءٍ، وتجَمُّعٍ.

تفسير الآيات:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5).

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ.

أي: ألم يَأتِكم خَبَرُ الكافِرينَ مِن قَبْلِكم، كقَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ وغَيرِهم؟

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ.

أي: فذاقَ كُفَّارُ الأُمَمِ الماضيةِ عُقوبةَ كُفرِهم، فأهلَكَهم اللهُ في الدُّنيا.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: ولهم عَذابٌ مُؤلِمٌ مُوجِعٌ في الآخِرةِ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6).

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا.

أي: ذلك الوَبالُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخِرةِ لكُفَّارِ الأُمَمِ الماضيةِ واقِعٌ بسَبَبِ أنَّه كانت تأتيهم رُسُلُهم بالحُجَجِ الواضِحةِ والدَّلائِلِ الباهِرةِ، فكَذَّبوهم واستَكبَروا عن اتِّباعِهم بدَعْوَى أنَّهم بشَرٌ مِثلُهم، واستَبْعدوا أنْ يَكونوا هُداةً لهم!

كما قال تعالى: قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ [إبراهيم: 10، 11].

وقال سُبحانَه: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء: 94].

فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا.

أي: فكَفَروا باللهِ ورُسُلِه، وأعرَضوا عن اتّباعِ الحَقّ.

وَاسْتَغْنَى اللَّهُ.

أي: واستَغنى اللهُ عنهم وعن إيمانِهم به وبرُسُلِه؛ فليس له حاجةٌ إليهم، ولا يُبالي بهم، ولا يَضُرُّه سُبحانَه كُفرُهم!

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ.

أي: واللهُ غنيٌّ عن جميعِ خَلْقِه، وغيرُ مُحتاجٍ إليهم ولا إلى عِبادتِهم، وهو محمودٌ في أقوالِه وأفعالِه وأوصافِه، ومحمودٌ مِن كلِّ مخلوقاتِه بلِسانِ المقالِ والحالِ، فله الحَمدُ، وهو أيضًا حامِدٌ لِمَن يَستحِقُّ الحمدَ مِن عبادِه.

كما قال تعالى: وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [لقمان: 12].

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7).

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا.

أي: ادَّعى الكُفَّارُ كَذِبًا أنَّ اللهَ لن يَبعَثَهم بعدَ مَوتِهم للحِسابِ والجَزاءِ.

قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ- لهؤلاء المُنكِرينَ للبَعثِ: بلى، أُقسِمُ برَبِّي لَتُخرَجُنَّ مِن قُبورِكم أحياءً.

ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ.

أي: ثمَّ لَتُخبَرُنَّ يومَ القيامةِ بجَميعِ ما عَمِلتُموه في الدُّنيا، وتُجازَونَ عليه.

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ.

أي: وبَعْثُ اللهِ عِبادَه مِن قُبورِهم أحياءً بعْدَ مَوتِهم للحِسابِ والجَزاءِ أمرٌ سَهلٌ عليه.

كما قال الله سبحانه وتعالى: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: 27].

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8).

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا.

أي: فآمِنوا باللهِ ورَسولِه، وآمِنوا بالقُرآنِ الَّذي أنزَلْناه؛ تَهتَدوا به مِن ظُلُماتِ الضَّلالِ.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا [النساء: 174].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ [المائدة: 15].

وقال عزَّ وجلَّ: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى: 52].

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

أي: واللهُ ذو خِبرةٍ بالِغةٍ تامَّةٍ بجَميعِ أعمالِكم، لا يَخفى عليه شَيءٌ مِن ظَواهِرِها وبَواطِنِها، ونيَّاتِكم فيها، وسيُجازيكم عليها.

سورةُ التَّغابُنِ

الآيتان (9–10)

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ **(9)** وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ **(10)**

غريب الكلمات:

يَوْمُ التَّغَابُنِ: أي: يومُ القيامةِ الَّذي يَربَحُ فيه المُؤمِنونَ ويَخسَرُ الكافِرونَ، والغَبْنُ: أن يُعطَى البائعُ ثمَنًا لِمَبيعِه دونَ حَقِّ قِيمتِه الَّتي يُعَوَّضُ بها مِثلُه، ويُطلَقُ على مُطلَقِ الخُسرانِ، وأصلُ (غبن): يدُلُّ على الخَفاءِ، ومنه مَغابِنُ الجَسَدِ، وهي: ما يَخفى عن العَينِ، وسُمِّيَ الغَبْنُ في البَيعِ؛ لخَفائِه عن صاحِبِه.

يُكَفِّرْ: أي: يَمحُ ويَستُرْ، وأصلُ (كفر): يدُلُّ على السَّترِ والتَّغطيةِ.

تفسير الآيتين:

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9).

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ.

أي: يومَ يجمَعُكم اللهُ جميعًا؛ أوَّلَكم وآخِرَكم، وإنْسَكم وجِنَّكم– ليوم القيامةِ.

كما قال تعالى: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [هود: 103].

وقال الله سُبحانَه: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: 49، 50].

وقال عزَّ وجلَّ: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ [المرسلات: 38].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يَجمَعُ اللهُ يومَ القيامةِ الأوَّلِينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ)).(128)

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ.

أي: ذلك اليَومُ هو اليَومُ الَّذي يَغبِنُ فيه بعضُ أهلِ المَحشَرِ بعضًا؛ فيَغبِنُ فيه أهلُ الحقّ أهلَ الباطلِ، ويَغبِنُ فيه أهلُ الإيمانِ أهلَ الكفرِ، وأهلُ الطَّاعةِ أهلَ المعصيةِ، وأهلُ الجَنَّةِ أهلَ النَّارِ.

(128) رواه البخاريُّ (4712)، ومسلمٌ (194) واللَّفظُ له.

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر: 15].

وقال الله سُبحانَه:... أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [الزمر: 56].

وقال الله عزَّ وجلَّ: وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ [الحاقة: 49، 50].

وعَن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ – ﷺ –: ((ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا له مَنزِلانِ: مَنزِلٌ في الجنَّةِ، ومنزلٌ في النَّارِ، فإذا ماتَ فدَخَل النَّارَ، وَرِثَ أهلُ الجنَّةِ مَنزِلَه، فذلك قولُه تَعالى: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ [المؤمنون: 10])).[129]

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ.

أي: ومَن يؤمِنْ باللهِ ويَعمَلْ بطاعتِه، يَمْحُ اللهُ عنه ذُنوبَه.

وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أي: ويُدخِلْه اللهُ جناتٍ تَجري أنهارُها فيها مِن تَحتِ قصورِها وأشجارِها.

(129) أخرجه ابنُ ماجه (4341)، والبَيْهَقيُّ في ((البعث والنشور)) (241).
صحَّح إسنادَه القُرطبيُّ في ((التذكرة)) (ص: 435)، وابنُ حجر في ((فتح الباري)) (451/11)، وقال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (266/4): إسنادُه صحيحٌ على شرطِ الشَّيخَينِ، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الجامع)) (5799).

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

أي: لابِثِينَ في تلك الجَنَّاتِ أبدًا، فلا يموتونَ فيها، ولا يُخرَجونَ منها.

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أي: تكفيرُ السَّيِّئاتِ والخُلودُ في الجنَّاتِ: هو الظَّفَرُ العَظيمُ الجالِبُ للمَسارِّ، والمُنجِي مِن المَضارِّ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (10).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا.

أي: والَّذين كَفَروا باللهِ وكَذَّبوا بآياتِه أولئك أصحابُ النَّارِ الملازِمونَ لها دَومًا، الماكِثونَ فيها أبَدًا.

كما قال تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ [الروم: 16].

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

أي: وبِئسَ المَرجِعُ والمُنقلَبُ الَّذي يَصيرُ إليه الكفَّارُ في الآخِرةِ: النَّارُ.

سورةُ التَّغابُنِ

الآيات (11-13)

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12) اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13)

تفسير الآيات:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11).

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

أي: ما أُصيبَ أحدٌ بأيِّ مُصيبةٍ كانت إلَّا بقَضاءِ اللهِ تعالى وتَقديرِه ومَشيئتِه.[130]

كما قال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ [الحديد: 22، 23].

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ.

أي: ومَن يُؤمِنْ باللهِ ويَعلَمْ أنَّ المصائِبَ بإذْنِه وقَدَرِه، يُوَفِّقِ اللهُ قَلْبَه للحَقِّ؛ فيُسلِّمَ لأمْرِه، ويَرْضَى بقَضائِه، فتَهُونَ عليه مُصيبتُه.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة: 155 – 157].

---

(130) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٢١) في الآية احتمالين، فقال: «وقوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ يحتمل أن يريد المصائب التي هي رزايا، وخصّها بالذكر بأنها الأهم على الناس والأبين أثرًا في أنفسهم.
ويحتمل أن يريد جميع الحوادث من خير وشر، وذلك أنّ الحكم واحد في أنها بإذن الله».

وعن صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ! إنَّ أمْرَه كُلَّه خَيرٌ، وليس ذاك لأحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ؛ إن أصابَتْه سَرَّاءُ شَكَر فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَّاءُ صَبَر فكان خيرًا له)).[131]

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

أي: واللهُ ذو عِلمٍ تامٍّ بكُلِّ شَيءٍ، فيَعلَمُ أقوالَ خَلْقِه وأفعالَهم، وضَمائِرَهم وأحوالَهم، لا يَخْفَى عليه شَيءٌ سُبحانَه.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12).

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.

أي: وأطيعوا اللهَ وأطيعوا رَسولَه، بامتِثالِ ما أمَرَ اللهُ به ورسولُه، واجتنابِ ما نَهَى اللهُ عنه ورسولُه.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

أي: فإنْ أعرَضْتُم عن طاعةِ اللهِ وطاعةِ رَسولِه، فإنَّما على رَسولِنا محمَّدٍ إبلاغُ ما أرسَلَه اللهُ به إبلاغًا واضِحًا تُقامُ به الحُجَّةُ، ويَنقَطِعُ به العُذرُ، وليس عليه حِسابُكم، بل اللهُ تعالى هو الَّذي يتولَّى ذلك، ويُعاقِبُكم على تولِّيكم.

---

(131) رواه مسلم (2999).

كما قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النور: 54].

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13).

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أي: اللهُ لا معبودَ بحقٍّ إلّا هو وَحْدَه؛ فلا تَصلُحُ العِبادةُ لِغَيرِه.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

أي: وعلى اللهِ وَحْدَه فلْيَعتَمِدِ المؤمِنونَ، ويُفَوِّضوا جميعَ أُمورِهم إليه.

كما قال تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا [المزمل: 9].

سورةُ التَّغابُنِ

الآيات (14–18)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا
وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
(15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

غريب الكلمات:

وَتَصْفَحُوا: أي: تُعرِضوا، وتَترُكوا التَّثريبَ، يُقالُ: صَفَحتُ عنه: إذا أعرضْتَ عنه، وأصلُ (صفح): يدُلُّ على الإعراضِ؛ لأنَّ مَن أعرَضَ عن صاحِبِه ولَّاه صَفحةَ عُنُقِه، وصرَفَ عنه وجْهَه.

فِتْنَةٌ: أي: بلاءٌ واختِبارٌ وامتحانٌ، وأصلُ (فتن): يدُلُّ على اختِبارٍ وابتِلاءٍ.

شُحَّ: الشُّحُّ: بُخلٌ مع حِرصٍ، وأصلُ (شحح): يدُلُّ على مَنعٍ.

شَكُورٌ: أي: يَرضى بيَسيرِ الطَّاعةِ، ويَقْبَلُ القليلَ مِن العملِ، ويُثيبُ عليه الكثيرَ مِنَ الثَّوابِ، ويُقالُ: إنَّ حَقيقةَ الشُّكْرِ الرِّضا باليَسيرِ، والشَّكورُ مِن الدَّوابِّ ما يَكفيه العلَفُ القليلُ لِسِمَنِه، فيُظهِرُ مِنَ السمَنِ فوقَ ما يُعطَى مِن العلَفِ، وأصلُ الشُّكْرِ في الكلامِ: الظُّهورُ، يُقالُ: شكَرَ الضَّرعُ: إذا امْتَلأَ، وامتِلاؤه ظُهورُه، وأصلُ (شكر) هنا: الامْتِلاءُ والغُزْرُ في الشَّيءِ.

حَلِيمٌ: أي: لا يُعاجِلُ بالعُقوبةِ، فهو ذو الصَّفحِ والأناةِ، الَّذي لا يَستَفِزُّه غضَبٌ، ولا يَستَخِفُّه جَهْلُ جاهِلٍ، ولا عِصيانُ عَاصٍ، يُقالُ: حَلُمَ فُلانٌ عن فُلانٍ: إذا لم يُقابِلْه على إساءتِه ولم يُجازِه عليها، والحِلمُ: الأناةُ والسُّكونُ مع القُدرةِ والقُوَّةِ، وأصلُ (حلم) هنا: يدُلُّ على تَرْكِ العَجَلةِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا إنَّ بعضَ أزواجِكم وأولادِكم أعداءٌ لكم؛ إذ يُثَبِّطونكم عن طاعةِ اللهِ، أو يَشغَلونَكم عنها، أو يَحْمِلونَكم على مَعصيتِه؛ فاحذَروا الوُقوعَ في ذلك.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون: 9].

وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: وإنْ تَعْفوا -أيُّها المؤمِنونَ- عن أزواجِكم وأولادِكم، وتَترُكوا عُقوبتَهم وتأنيبَهم، وتَستُروا عليهم ذُنوبَهم؛ فإنَّ اللهَ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه، رحيمٌ بهم، ويَغفِرُ للَّذينَ يَغفِرونَ، ويَرحَمُ الَّذين يَرحَمونَ.

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15).

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ.

أي: إنَّما أموالُكم وأولادُكم بلاءٌ واختِبارٌ لكم؛ فاحذَروا أن تَقعوا -بسَبَبِ الشُّغلِ بهم- في المَنهيَّاتِ، أو تَتركوا امتِثالَ المأموراتِ، أو تُقصِّروا في أداءِ الطَّاعاتِ.

كما قال تعالى: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [التكاثر: 1، 2].

وعن بُرَيدةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان النَّبيُّ - ﷺ - يَخطُبُ، فجاء الحَسَنُ والحُسَينُ رَضِيَ اللهُ عنهما، وعليهما قَميصانِ أحمرانِ يَعْثُرانِ[132] فيهما، فنَزَل النَّبيُّ - ﷺ -، فقطَع كَلامَه، فحَمَلَهما ثمَّ عاد إلى المِنبَرِ، ثمَّ قال: صَدَقَ اللهُ: أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، رأيْتُ هذَينِ يَعثُرانِ في قَميصَيْهما، فلم أَصبِرْ حتَّى قَطعْتُ كَلامي فحَمَلْتُهما!)).[133]

---

(132) يَعثُرانِ: أي: يَسقُطانِ على الأرضِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3981/9).

(133) أخرجه أبو داودَ (1109)، والترمذيُّ (3774)، والنسائيُّ (1413) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (3600)، وأحمدُ (22995).
صَحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصحيح)) (6039)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (424/1) -وقال: (على شرطِ مسلمٍ)-، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (1413)، وصحَّح إسنادَه على شرطِ مُسلِمٍ: الضِّياءُ المَقدِسيُّ في ((السنن والأحكام)) (375/2)، والنَّوويُّ في ((الخلاصة)) (803/2)، وابنُ عبد الهادي في ((تنقيح تحقيق التعليق)) (81/2).

وعن كَعبِ بنِ عِياضٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ النَّبيَّ - ﷺ -يقولُ: ((إنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ فِتنةً، وفِتنةُ أُمَّتي المالُ)).[134]

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((إنَّ الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرَةٌ،[135] وإنَّ اللهَ مُستَخلِفُكم فيها، فيَنظُرُ كيف تَعمَلونَ؛ فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ؛ فإنَّ أوَّلَ فِتنةِ بَني إسرائيلَ كانت في النِّساءِ)).[136]

وعن يَعْلَى العامِريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((جاء الحَسَنُ والحُسَينُ يَسعَيانِ إلى النَّبيِّ - ﷺ -، فضَمَّهما إليه، وقال: إنَّ الوَلَدَ مَبْخَلةٌ مَجْبَنةٌ))[137].[138]

---

(134) أخرجه الترمذيُّ (2336) واللَّفظُ له، وأحمدُ (17471).
صحَّحه ابنُ حِبَّان في ((الصحيح)) (3223)، وابنُ عبدِ البَرِّ في ((الاستيعاب)) (381/3)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2336)، وشعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((مسند أحمد)) (15/29).

(135) حُلْوةٌ خَضِرةٌ: أي: غَضَّةٌ ناعِمةٌ طيِّبةٌ، مُزَيَّنةٌ في عُيونكم وقُلوبِكم، وإنَّما وَصَفها بالخَضِرةِ؛ لأنَّ العربَ تُسَمِّي الشَّيءَ النَّاعِمَ خَضِرًا، أو لتَشَبُّهِها بالخَضْراواتِ في سُرعةِ زَوالِها.
يُنظر: ((المعلم بفوائد مسلم)) للمازَري (33/2)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2044/5).

(136) رواه مسلم (2742).

(137) مَبخَلةٌ مَجْبَنةٌ: أي: يَحمِلُ أبَوَيه على البُخلِ والجُبْنِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (103/1)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2970/7).

(138) أخرجه ابنُ ماجه (3666) واللَّفظُ له، وأحمدُ (17562) مطوَّلًا.
صحَّحه الحاكمُ في ((المستدرك)) (179/3) -وقال: (على شرطِ مسلمٍ)-، والألبانيُّ في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (3666)، وقوَّى إسنادَه الذهبيُّ في ((المهذب)) (4210/8)، وصحَّح إسنادَه البوصيريُّ في ((مصباح الزجاجة)) (99/4)، وحسَّنه شعيبٌ الأرناؤوط في الشَّواهد في تخريج ((شرح السُّنَّة)) (36/13).

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

أي: واللهُ عِندَه ثوابٌ عَظيمٌ لِمَن لم تَشغَلْه أموالُه وأولادُه وأزواجُه عن طاعةِ اللهِ تعالى؛ فلا تُؤْثِروهم على ما عِندَه سُبحانَه.

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16).

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

أي: فاتَّقوا اللهَ -أيُّها المُؤمِنونَ- بامتِثالِ أوامِرِه واجتِنابِ نواهيه، بقَدْرِ طاقتِكم.

كما قال تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة: 286].

وقال سُبحانَه: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [الأعراف: 42].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((دَعُوني ما ترَكْتُكم، إنَّما هَلَك مَن كان قَبْلَكم بسُؤالِهم واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نَهَيْتُكم عن شَيءٍ فاجتَنِبوه، وإذا أمَرْتُكم بأمرٍ فأْتُوا منه ما استَطَعْتُم)).(139)

---

(139) رواه البخاريُّ (7288) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1337).

وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا.

أي: واسمَعوا ما يأمُرُكم به اللهُ ورَسولُه، وكونوا مُنقادِينَ له، فلا تَترُكوا ما أُمِرْتُم به، ولا تأتُوا ما نُهيتُم عنه.

وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ.

أي: وابذُلوا مِن أموالِكم بإخراجِ الزَّكَواتِ المفروضةِ، والنَّفَقاتِ الواجِبةِ والمُستَحَبَّةِ؛ فذلك خيرٌ لأنفُسِكم في الدُّنيا والآخِرةِ.

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

أي: ومَن سلَّمه اللهُ مِن شِدَّةِ حِرصِ النَّفْسِ على جَمعِ المالِ، فخالَفَ هواها في إمساكِ المالِ فأنفَقَ؛ فأولئك هم الفائِزونَ الذينَ أدْرَكوا المطلوبَ، ونَجَوا مِن المَرْهوبِ.

عن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَن كان قَبْلَكم؛ حمَلَهم على أن سَفَكوا دِماءَهم، واستحَلُّوا مَحارِمَهم))[140]. [141]

---

(140) أي: استباحوا نساءَهم، أو ما حرَّم اللهُ مِن أموالِهم وغيرِها، وهذا على سبيلِ الاستئنافِ؛ فإنَّ استِحلالَ المَحارِمِ جامعٌ لجميعِ أنواعِ الظُّلْمِ، وعَطْفُه على سَفكِ الدِّماءِ عطفُ عامٍّ على خاصٍّ.

يُنظر: ((فيض القدير)) للمُناوي (134/1).

(141) رواه مسلم (2578).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: خَطَب رسولُ اللهِ - ﷺ - فقال: ((إيَّاكم والشُّحَّ؛ فإنَّما هَلَك مَن كان قَبْلَكم بالشُّحِّ؛ أمَرَهم بالبُخلِ فبَخِلوا، وأمَرَهم بالقَطيعةِ فقطَعوا، وأمَرَهم بالفُجورِ ففَجَروا)).[142]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((لا يَجتَمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قَلبِ عَبدٍ أبَدًا)).[143]

---

(142) أخرجه من طُرُقٍ: أبو داودَ (1698) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (11583)، وأحمدُ (6487).
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصَّحيح)) (5176)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1698)، وصحَّح إسنادَه الطَّبَريُّ في ((مسند عمر)) (106/1)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (576/1)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (201/9)، وشعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((سنن أبي داود)) (1698).
(143) أخرجه مُطَوَّلًا النَّسائيُّ (3110) واللَّفظُ له، وأحمدُ (9693).
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصَّحيح)) (3251)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النَّسائي)) (3110)، وشعيبٌ الأرناؤوطُ بطُرُقِه وشَواهِدِه في تخريج ((مسند أحمد)) (433/15)، وصحَّح إسنادَه الطَّبَريُّ في ((مسند عمر)) (102/1).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أتى رسولَ اللهِ – ﷺ – رجُلٌ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الصَّدَقةِ أعظَمُ؟ فقال: أن تَصَدَّقَ وأنت صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشى الفقرَ، وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمهِلُ[144] حتَّى إذا بلَغَت الحُلْقُومَ قُلتَ: لِفُلانٍ كذا، ولِفُلانٍ كذا،[145] ألَا وقد كان لِفُلانٍ !))[146].[147]

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17).

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ.

أي: إنْ تُنفِقوا مِن طَيِّبِ أموالِكم احتِسابًا للأجرِ عِندَ رَبِّكم بلا مَنٍّ ولا أذًى، فاللهُ يُثيبُكم على إنفاقِكم هذا بأُجورٍ كَثيرةٍ، قد تَبلُغُ سَبْعَمِئَةِ ضِعفٍ أو أكثَرَ.[148]

---

(144) مِن الإمهالِ، وهو بالرَّفعِ على أنَّه خبرٌ، ويجوزُ بالنَّصبِ عطفًا على (تصَدَّقَ)، أو بالجزمِ على النَّهي، أي: ولا تؤخِّرِ الصَّدقةَ، أي: ولا تُمهِلْ نفْسَك.

يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (6/291).

(145) لِفُلانٍ: كِنايةٌ عن الموصَى له (كذا) كِنايةٌ عن الموصَى به.

يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (6/291).

(146) وقد كان لِفُلانٍ: أي: الوارِثِ، قيل: جملةٌ حاليَّةٌ، أي: وقد صار المالُ الَّذي تتصرَّفُ فيه في هذه الحالةِ ثُلُثاهُ حقًّا للوارِثِ وأنت تتصَدَّقُ بجميعِه، فكيف يُقْبَلُ منك؟! وقيل: أي: وقد صار ما أَوصى به للوارِثِ، فيُبطِلُه إن شاء إذا زاد على الثُّلثِ، أو أوصى به لوارِثٍ آخَرَ.

وقيل: المعنى: أنَّه قد خرَج عن تصَرُّفِه وكمالِ ملكِه واستِقلالِه بما شاء مِن التَّصرُّفِ، فليس له في وصيَّتِه كبيرُ ثَوابٍ وكثيرُ فضلٍ بالنِّسبةِ إلى صدقةِ الصَّحيحِ الشَّحيحِ.

يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (6/291).

(147) رواه البخاريُّ (1419)، ومسلمٌ (1032) واللَّفظُ له.

(148) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٣٢٥) في الآية قولين: الأول: أنها في المندوب من الأعمال.

كما في قول الحسن.

كما قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً [البقرة: 245].

وقال سُبحانَه: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة: 261].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: ((ما تَصدَّقَ أحَدٌ بصَدَقةٍ مِن طَيِّبٍ - ولا يَقْبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ- إلَّا أخَذَها الرَّحمنُ بيَمينِه، وإن كانت تَمْرةً، فتَربُو في كَفِّ الرَّحمنِ حتَّى تكونَ أعظَمَ مِن الجَبَلِ، كما يُرَبِّي أحَدُكم فَلُوَّه أو فَصِيلَه)).[149] [150]

وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((إنَّك لن تُنفِقَ نَفَقةً تَبتَغي بها وَجْهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ عليها، حتَّى ما تَجعَلُ في فَمِ امْرأتِك)).[151]

الثاني: أنها في الزكاة المفروضة.
ثم رجّح القول الأول بقوله: «وهو الأصح».
ولم يذكر مستندًا.

(149) الفَلُوُّ: المُهْرُ الصَّغيرُ، وهو ولَدُ الفرَسِ؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّه فُلِيَ عن أمِّه، أي: فُصِلَ وعُزِلَ.
والفَصيلُ: ولَدُ النَّاقةِ إذا فُصِلَ مِن إرضاعِ أُمِّه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (7/99).

(150) رواه البخاريُّ (1410)، ومسلمٌ (1014) واللَّفظُ له.

(151) رواه البخاريُّ (56) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (1628).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ.

أي: ويَغفِرِ اللهُ لكم ذُنوبَكم، بسَترِها عليكم، ووقايتِكم مِن شرِّها؛ جزاءً لكم على إنفاقِكم.

وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ.

أي: واللهُ ذو شُكرٍ بالِغٍ وكثيرٍ للمُنفِقينَ في سَبيلِه، ويَجزيهم على القَليلِ بالكثيرِ، حَليمٌ على عبادِه؛ فلا يُعاجِلُهم بالعُقوبةِ على ذُنوبِهم، بل يُمهِلُهم.

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18).

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

أي: عالِمُ كُلِّ ما يَغيبُ عن عِبادِه، وجَميعِ ما يُشاهِدونَه؛ فلا يَخفى عليه شَيءٌ.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: العَزيزُ الَّذي يَغلِبُ ولا يُغلَبُ، الحَكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللَّائِقِ به.

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

ويَليه المجلَّدُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ، وأوَّله: تفسير سُورة الطَّلاقِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المغني في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا